بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الخليل

كلية الدراسات العليا

قسم التاريخ

قضاء بئر السبع من الاحتلال البريطاني إلى الاحتلال الإسرائيلي (1917-1948م)

إعداد الطالب:

بركات راغب جودة سلايمة

الرقم الجامعي:

21019029

بإشراف الدكتور:

زهير غنايم

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة الخليل

1437هـ/2015م

قضاء بئر السبع من الاحتلال البريطاني إلى الاحتلال الإسرائيلي (1917-1948م)

Beer AL Saba` District from the British Occupation to the Israeli Occupation (1917-1948)

إعداد الطالب:

بركات راغب جودة سلايمة

نوقشت هذه الرسالة يوم الخميس بتاريخ 10 / 12 / 2015م الموافق 28/صفر/ 1437هـ وأجيزت

أعضاء لجنة المناقشة

الأعضاء		التوقيع
د. زهير غنايم	مشرفاً ورئيساً	
د. عبد القادر الجبارين	ممتحناً داخلياً	
د. معتصم الناصر	ممتحناً خارجياً	

الإهـــــــــداء

إلى من كان له الفضل بعد الله تعالى، إلى والدي الكريمين حفظهما الله

إلى زوجتي الغالية

إلى أبنائي (جنى، غنى، يامن، ايلين)

إلى اخوتي الأعزاء

إلى كل من ساهم في تلقيني ولو بحرف في حياتي الدراسية

إلى فلسطين الحبيبة

الشكر والتقدير

إلى الله سبحانه وتعالى أدين بالشكر أولا في إتمام هذه الرسالة ولا أنسى أن أقدم خالص الشكر والتقدير للدكتور الفاضل

زهير غنايم الذي أشرف على هذه الرسالة منذ أن كانت فكرة حتى أصبحت حقيقة

كما أشكر الأساتذة الأفاضل في قسم التاريخ بجامعة الخليل، وأخص بالذكر الدكتور عبد القادر جبارين والدكتور خلقي خنفر والدكتور شوكت حجة والدكتور محمد العلامي.

وأقدم الشكر كذلك إلى موظفي مكتبة جامعة الخليل وموظفي مكتبة الجامعة الأردنية وموظفي مكتبة البلدية في الخليل وموظفي مكتبة البيرة العامة، واتقدم بالشكر للدكتورة زينب جيلك من جامعة واشنطن، كما اتقدم بالشكر إلى موظفي مركز احياء التراث الاسلامي في أبو ديس، واتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى الدكتور ياسر أبو عليان المدقق اللغوي للرسالة.

واتقدم بجزيل الشكر إلى الإدارة في المدرسة الكورية للبنين في الخليل كما اتقدم بالشكر إلى الاستاذ اسامة الجعبة والاستاذ منذر العقيلي.

ولا يسعني إلا أن اتقدم بالشكر والتقدير إلى جميع الزملاء والأصدقاء والأقارب الذين كانوا لي خير عون وإلى كل من وقف إلى جانبي لإتمام هذه الرسالة

المحتويات

الإهـــــــداء ..... أ

الشكر والتقدير .....ب

المخلص .....و

المقدمة .....ز

الفصل الأول.....1

بئر السبع وقضائها: الموقع والأهمية 1

موقع مدينة بئر السبع وأهميتها 1

قضاء بئر السبع: الموقع والأهمية 3

التسمية 4

المدينة عبر التاريخ 5

القرى.....9

التلول في قضاء بئر السبع 18

الخرب في بئر السبع.....23

الفصل الثاني 25

قضاء بئر السبع في العهد العثماني 25

إعادة بناء المدينة وتنظيمها.....28

السكان.....33

النشاط الاقتصادي.....34

التطور العمراني.....40

قضاء بئر السبع في بداية الحرب العالمية الأولى 43

الحملة العسكرية العثمانية على قناة السويس 45

الحملة العسكرية العثمانية الثانية على قناة السويس..... 48
توجه القوات البريطانية صوب فلسطين..... 50
معركة غزة الأولى..... 51
معركة غزة الثانية 52
معركة بئر السبع 1917م 55
خطة الهجوم 55
سير المعركة..... 57
الفصل الثالث 61
قضاء بئر السبع في العهد البريطاني 61
الإدارة..... 61
السكان..... 66
إحصاء عام 1922 67
إحصاء عام 1931م 69
احصاءات عارف العارف عام 1932م..... 70
تقدير تحليل التصوير الجوي لعام 1945م 71
تقديرات عام 1946م..... 72
التعليم في فترة الانتداب..... 73
مدراس مدينة بئر السبع..... 74
مدارس قضاء بئر السبع 76
الخدمات الصحية 78
النشاط السياسي والعسكري..... 82
النشاط السياسي 82

المقاومة في قضاء بئر السبع 85
تحرير مدينة بئر السبع عام 1938م 88
معركة بئر السبع عام 1948م 90
الفصل الرابع 96
الأوضاع الاقتصادية في قضاء بئر السبع 1918–1948م 96
الوضع الاقتصادي العام 96
الأراضي 98
الزراعة 102
المحاصيل الزراعية 104
التجارة 106
الصناعة 109
الرعي 109
الخاتمة 113
قائمة المصادر والمراجع 116
الملاحق 125
Abstract 128

المخلص

تناولت هذه الدراسة بالبحث قضاء بئر السبع من الاحتلال البريطاني إلى الاحتلال الإسرائيلي. وذلك من عام 1917م حتى عام 1948م، وهو العام الذي فرض فيه الاحتلال الاسرائيلي على القضاء، وتعتبر هذه الفترة من الفترات المهمة في تاريخ قضاء بئر السبع ومن أهم الفترات التي مر بها، وتهدف الدراسة إلى تقديم صورة شاملة عن قضاء بئر السبع في فترة الانتداب البريطاني.

وتناولت هذه الدراسة في البداية إعادة بناء مدينة بئر السبع في عام 1900م خلال العهد العثماني في زمن السلطان عبد الحميد الثاني، وبينت الأسباب التي جعلت الدولة العثمانية تقوم بإنشائها.

كما تطرقت الدراسة لأوضاع قضاء بئر السبع خلال الاحتلال البريطاني الذي فرض على المدينة في عام 1917م. وأوضحت الدور البريطاني في السيطرة على القضاء، ودور أهل القضاء في الحركة الوطنية الفلسطينية ضد الاحتلال الإنجليزي.

وقد تناولت الدراسة سكان قضاء بئر السبع خلال فترة الانتداب البريطاني، وبينت عدد السكان والاحصاءات التي قامت بها سلطة الانتداب لسكان هذه المنطقة، وكذلك التعليم والصحة.

وتطرقت الدراسة للأحداث في قضاء بئر السبع عام 1948م ودور أهله في الدفاع عنه مع متطوعين عرب ضد العصابات اليهودية التي أدت في النهاية إلى سقوطه بأيدي القوات الإسرائيلية.

وانتهت الدراسة بالوقوف على الأوضاع الاقتصادية في قضاء بئر السبع خلال فترة الانتداب البريطاني، وأهم الأنشطة الاقتصادية فيه، خلال هذه الفترة.

المقدمة:

أهمية الموضوع

تتناول هذه الدراسة واحدة من المدن الفلسطينية، وهي بئر السبع من بداية الانتداب البريطاني عام 1917م إلى الاحتلال الإسرائيلي عام 1948م، وتعتبر هذه المرحلة من المراحل التاريخية المهمة في تاريخ فلسطين، وتقدم الدراسة صورة شاملة عن المدينة وموقعها، وإعادة تنظيمها في العصر العثماني، مروراً بفترة الانتداب البريطاني، ووصولاً إلى احتلالها من قبل اليهود عام 1948م.

تقع بئر السبع في الجزء الجنوبي من فلسطين وفي الجزء الشمالي من الصحراء الفلسطينية، وتكاد تكون في منتصف المسافة بين البحر الميت شرقاً والبحر الأبيض غرباً، وتتوسط قاعدة المثلث الصحراوي للنقب عند التقاء دائرة عرض 14، 13، شمال خط الاستواء، وعلى طول 34–37 شرقي غرنتش وهذا جعلها تقع في ثلاث بيئات مختلفة، وقد زادت أهمية موقع بئر السبع في العصور الحديثة من الناحيتين الحربية والاقتصادية، فالمدينة تعد البوابة الجنوبية لفلسطين من جهة النقب، وتعد البوابة الشمالية للنقب، والبوابة الشرقية لصحراء سيناء.

أسباب اختيار الموضوع:

قضاء بئر السبع من المناطق التي تحتاج إلى دراسة، حيث أن الدراسات لم تتعرض إلى المنطقة بشكل مفصل وإنما تم ذكرها بشكل بسيط ودون الخوض بالتفاصيل كما أن هذه المنطقة لم تحظ باهتمام الباحثين والمختصين في التاريخ الفلسطيني على الرغم من أن مدينة بئر السبع تعد من أهم مدن الجنوب الفلسطيني.

وجاءت الدراسة لتسد هذه الثغرة وتسلط الضوء على مدينة بئر السبع وقضائها من بداية الانتداب البريطاني إلى نهايته حيث تبين ما لهذه المدينة من اهمية، فهي مركز للتجارة والاتصالات بين تجار القدس والخليل وغزة والمجدل والقبائل البدوية، وكان لها دور

مهم في الحرب العالمية الأولى فكانت قاعدة للجيوش العثمانية وأصبحت من أوائل المدن التي احتلتها الجيوش البريطانية القادمة من مصر.

منهجية الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على منهجية البحث التاريخي، معتمدة على الوثائق والمصادر الأساسية والأولية المتعلقة بالموضوع وتحليلها واستخلاص المعلومات التاريخية، مراعية التسلسل التاريخي للحفاظ على وحدة الموضوع وترابطه.

الدراسات السابقة:

بدا للباحث من خلال البحث والاطلاع على المصادر والمراجع ذات الصلة، قلة الدراسات السابقة لهذا الموضوع، مما يزيده قيمة وأهمية وإن وجدت بعض الدراسات التي لا ترقى في معظمها إلى مستوى الدراسة المتعمقة، كما أن أغلبها يتناول مدينة بئر السبع بشكل يسير أو يمر عليها مروراً سريعاً من غير شرح أو تفصيل، ولذلك جاءت هذه الدراسة لتوضيح تاريخ المدينة والحوادث التي جرت فيها ومن الأمثلة على الدراسات التي تناولت بئر السبع كتاب: الفلسطينيون المنسيون عرب النقب 1906-1986 (لغازي فلاح) الذي اختصر الحديث عن بئر السبع، وكذلك فإن الكتب التي تناولت المدن الفلسطينية كانت محدودة في معلوماتها عن بئر السبع مثل كتاب مدائن فلسطين (لنبيل الأغا)، أما كتاب تاريخ بئر السبع وقبائلها (لعارف العارف) فقد تحدث فيه عن المدينة وقبائلها في الفترة البريطانية فقط حتى عام 1933م، وتناول المؤلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المدينة في هذه الفترة، واقتصر في حديثه عن المدينة حتى عام 1933م فقط، ولم يتطرق من بعيد أو قريب إلى دور المدينة وقضائها في الحركة الوطنية الفلسطينية، كما ان الكتاب قد مضى على تأليفه فترة زمنية طويلة، ولعل المصادر والمراجع والوثائق التي ظهرت حديثاً تلقي مزيداً من الضوء على المدينة وقضائها، وهذا ما يعطي أهمية خاصة لدراسة هذه المنطقة.

فصول الدراسة:

اشتملت هذه الدراسة على إهداء ورسالة شكر وفهرس لموضوعاتها، وملخص باللغة العربية إضافة إلى مقدمة.

تناول الفصل الأول، بئر السبع وقضاءها من حيث الموقع وأهميته وسبب التسمية، وذكر أهم قرى قضاء بئر السبع.

أما الفصل الثاني فتناول قضاء بئر السبع في أواخر العهد العثماني حيث تم الحديث فيه عن إعادة بناء المدينة والنشاط الاقتصادي في القضاء في العهد العثماني وتناولت أيضاً قضاء بئر السبع خلال الحرب العالمية الأولى 1914–1918م. وتم الحديث فيه أيضاً عن سقوط القضاء بأيدي القوات البريطانية في عام 1917م.

وكان قضاء بئر السبع في فترة الانتداب البريطاني موضوع الفصل الثالث وتتضمن أدارة الانتداب البريطاني لقضاء بئر السبع وسكان القضاء ودور أهله في الحركة الوطنية ومعركة بئر السبع عام 1948م التي أدت إلى سقوط المدينة بأيدي العصابات اليهودية 1948م.

وتناول الفصل الرابع الأوضاع الاقتصادية في القضاء من عام 1917–1948م، حيث تم الحديث فيه عن أراضي قضاء بئر السبع وعن أهم الأنشطة الاقتصادية لسكانه خلال هذه الفترة.

وتضمنت الخاتمة خلاصة لما توصل إليه الباحث من نتائج، وختمت الدراسة بقائمة المصادر والمراجع التي استخدمت في الدراسة وملخصها باللغة الانجليزية.

تحليل المصادر

اعتمدت الدراسة على بعض المصادر التاريخية التي تناولت جوانب مختلفة من تاريخ قضاء بئر السبع بشكل عام، مثل الوثائق والمذكرات الشخصية والمصادر والمراجع

العربية والأجنبية والدراسات والصحف والموسوعات والمصادر الأجنبية ورسائل الماجستير ومن أهم هذه المصادر:

أولاً: الوثائق العربية المنشورة وغير المنشورة: رجعت الدراسة إلى مجموعة من الوثائق العربية المنشورة مثل كتاب "وثائق وتقارير بريطانية عن شرق الأردن وفلسطين" لمحمد محافظة، ووثائق المجلس الإسلامي الأعلى الخاصة بقضاء بئر السبع. وكل هذه الوثائق باللغة العربية ومكتوبة بخط اليد وهي محفوظة في مركز إحياء التراث الإسلامي في أبو ديس. وتحتوي على معلومات مهمة عن القضاء فهي تزودنا بمعلومات عن الأراضي في قضاء بئر السبع، وكذلك عن دور المجلس الإسلامي في دعم التعليم في قضاء بئر السبع.

ثانياً: مذكرات شخصية: اعتمدت الدراسة على بعض المذكرات الشخصية لمن عاصر هذه الحقبة التاريخية مثل كتاب يوميات خليل السكاكيني وكتاب علي فؤاد (كيف غزونا مصر)، حيث أفادت الدراسة منها في فصليها الأول والثاني

ثالثاً: الكتب الجغرافية: حيث تأتي أهمية المصادر الجغرافية بتزويد الدراسة بتوضيح مواقع القرى والخرب والتلول في قضاء بئر السبع مثل كتاب (معجم ما استعجم) للأندلسي، وكتاب (معجم البلدان للحموي)، وكتاب (المواقع الجغرافية في فلسطين) لشكري عراف، وكتاب (معجم بلدان فلسطين) لحسن شراب.

رابعاً: الكتب التاريخية: حيث تناولت جوانب مختلفة من تاريخ قضاء بئر السبع مثل كتاب (بئر السبع والحياة البدوية) لأحمد أبو خوصة، وكتاب (فلسطين والانتداب البريطاني 1922–1939) لكامل خلة، وكتاب (المقاومة العربية في فلسطين 1917–1948) لناجي علوش.

خامساً: الصحف: رجع الباحث إلى العديد من الصحف التي صدرت في تلك الفترة مثل جريدة فلسطين (يافا) والصراط المستقيم (يافا) والوقائع الفلسطينية الجريدة الرسمية

لحكومة فلسطين، وصحيفة الدفاع (يافا) وصحيفة البشير (بيروت) وجريدة الحياة (لندن) وقد أفادت هذه الصحف جميع فصول الدراسة.

سادساً: الدوريات والمجلات: اعتمدت الدراسة على مجموعة من المجلات مثل مجلة الحرب العظمى، ومجلة صامد، وأفاد الباحث منها في الفصل الثاني.

سابعاً: رسائل جامعية: رجع الباحث إلى مجموعة من رسائل الماجستير، مثل (جغرافية الاستيطان الصهيوني في منطقة النجب) لصبحي عيد و(جيومورفلوجية حافة رأس النقب) لعلي البلوشي.

ثامناً: الموسوعات: اعتمدت الدراسة على بعض الموسوعات مثل بلادنا فلسطين لمصطفى الدباغ والموسوعة الفلسطينية لأحمد المرعشلي وموسوعة المدن والقرى الفلسطينية لآمنة أبو حجر، وقد أفادت هذه الموسوعة الدراسة في جميع فصولها.

تاسعاً: المصادر الأجنبية: وقد أمدت الدراسة بمعلومات قيمة حول إعادة هيكلية مدينة بئر السبع عام 1900م وكذلك التطور العمراني في المدينة مثل كتاب

Bedouin Century for Aref, Abu Rabia': And, Empire, Architecture, and the City French-Ottoman Encounters 1830-1914,for Zeynep-Celik

الفصل الأول

بئر السبع وقضائها: الموقع والأهمية

موقع مدينة بئر السبع وأهميتها:

تقع مدينة بئر السبع في الجزء الجنوبي من فلسطين وفي الجزء الشمالي من صحراء النقب[1] على ارتفاع 175 متراً فوق مستوى سطح البحر وعلى بعد 80 كلم جنوب غرب القدس[2].

وتكاد تكون في منتصف المسافة بين البحر الميت شرقا، والبحر المتوسط غربا، وتتوسط قاعدة المثلث الصحراوي للنقب إذ تبعد 75 كم غربي البحر الميت ونحو 85 كم شرقي البحر المتوسط[3] على خط طول 34–37 شرقي خط غرينيتش، وعلى خط عرض 31–14 شمالي خط الاستواء[4]، وتبلغ مساحة المدينة 3890 دونماً[5].

ويعد موقع بئر السبع بالنسبة للبيئات الطبيعية في فلسطين ذ أهمية خاصة حيث إن هذا الموقع يربط بيئات فلسطين الرئيسية الثلاثة، فهنالك البيئة الصحراوية في الجنوب والبيئة الجبلية في الشمال والشمال الشرقي بينما تسود البيئة الساحلية في الشمال الغربي[6].

---

(1) سمور، حسن، قصة مدينة بئر السبع، 7

(2) صايغ، أتيس، بلدانية فلسطين المحتلة، 82

(3) شراب، محمد، معجم بلدات فلسطين، 210

(4) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 443/2.

(5) سمور، حسن، قصة مدينة بئر السبع ، 8

(6) ابو الهدى، سامح، جغرافية فلسطين دراسة طبيعية اقتصادية سياسية، 432

ونظرا لموقعها هذا فقد كانت تشكل ممراً حيوياً لتجارة العالم القديم حيث كانت تمر خلالها القوافل التجارية وهي تحمل خيرات الهند وافريقية إلى غزة ومصر[1]، وقد أدى ذلك لإنشاء سلسلة من المدن والمستعمرات التجارية، ولما ظهر الأنباط في جنوب الأردن زاد أزدهار البلاد الواقعة على الطرق التجارية في بلاد السبع[2]، وفي أوائل القرن الثالث الميلادي تحولت الطرق التجارية من الهند عن طريق البتراء إلى الخليج العربي أو الفرات وتدمر، فانتهت بذلك فترة ازدهار المنطقة[3].

وفي العهد الاسلامي كانت بئر السبع مدينة عامرة وقد تكون أعمر المدن القائمة في هذه الجهة، فقد اتخذها عمرو بن العاص وهو من أكبر قادة المسلمين مقرا له عندما اعتزل الناس في مصر واتخذ منها المسلمون ممرا يعبرون منه كلما صوبوا أنظارهم إلى مصر[4].

وفي العصور الحديثة أخذ موقع المدينة يزداد أهمية من الناحية الاقتصادية حيث تعتبر مدينة بئر السبع البوابة الشمالية للنقب والبوابة الجنوبية لفلسطين والبوابة الشرقية لمصر[5]، كما تعد بئر السبع مركزا للتجارة والاتصالات بين تجار القدس والخليل وغزة والمجدل والقبائل البدوية. [6]

([1]) الآغا، نبيل، مدائن فلسطين دراسة ومشاهدات، 394

*ومن أهم الطرق التجارية التي كانت بئر السبع واقعة عليها: انظر ملحق رقم (1).

أ- طريق العقبة – غزة: وهذه كانت تمر من المواقع التالية: العقبة- عين الدفية- عين غضيان- عين غرندل- الغمر- عين لوبية- وادي المرة- نقب غارب- عسلوج- بئر السبع- غزة.

ب- الدرب التي تربط الخليل بالعقبة: وكانت هذه تمر بالمواقع التالية: الخليل- بئر السبع- الخلصة- رحيبة- بير بيرنبن- رأس سرام- قصيمة- عرايف الناقة- كنتلة- نقب العقبة- العقبة.

ج- درب الحج: الطريق التجاري المصري القديم ويصل بين السويس: عند بلدة عجرود المصرية، وبين قرية أم الرشراس على رأس خليج العقبة، ثم يدور حول الخليج متجهاً إلى أراضي الحجاز وبعد ظهور الإسلام، أخذت قوافل الحجاج تجوبه في مراسم الحج. عارف العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 22

([2]) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 443/2

([3]) الآغا، مدائن فلسطين دراسة ومشاهدات، 394

([4]) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 30

([5]) أبو سمور، قصة مدينة بئر السبع، 8

([6]) أبو الهدى، جغرافية فلسطين دراسة طبيعية اقتصادية سياسية ، 431

أما بالنسبة لأهمية بئر السبع من الناحية الحربية، فقد اتخذها العثمانيون قاعدة لجيوشهم في الحرب العالمية الأولى (1914–1918م) لمناوءة الانكليز في قناة السويس ومصر[1]، فعبدوا الطرق بين بئر السبع والخليل من جهة وبين بئر السبع والحفير من جهة أخرى، وأنشأوا خطا حديديا يمتد من وادي الصرار إلى بئر السبع[2]، كما كانت المدينة أيضا موقعا مهما للجيش المصري في حرب عام 1948م لأنها تتحكم في صحراء النقب جنوبا لكن القوات الاسرائيلية استطاعت احتلال المدينة في 1948/10/21م وانطلقت منها تسيطر على باقي الصحراء الفلسطينية.[3]

قضاء بئر السبع: الموقع والأهمية

هو القسم الجنوبي من فلسطين، ذو الشكل المثلث الذي يقع رأسه عند بقعة المرشوش على خليج العقبة جنوبا، ويشمل جميع الأراضي الواقعة بين قضاء غزة والخليل، وبين شبه جزيرة سيناء والأردن وجنوبي البحر الميت[4]، يبلغ طول الساحل الفلسطيني التابع لقضاء بئر السبع الواقع على سواحل خليج العقبة 10.5 كم^2 وطول الحدود الفاصلة بين الصحراء الفلسطينية وسيناء من رأس طابا وحتى رفح حوالي 245 كم، أما طول الحدود الفاصلة بين قضاء بئر السبع والأردن شرقا فيبلغ 165 كم وهي طول وادي عربة بالإضافة لسواحل البحر الميت الجنوبية الغربية.[5] ويختلف قضاء بئر السبع في طبيعته وسكانه عن سائر البلاد وتتبعه منطقة الصحراء الفلسطينية الواقعة في الجنوب، وتقدر مساحة القضاء بنحو (12.577) كم^2 أي ما يقارب نصف مساحة فلسطين ، وقد صنفت المساحة هذه قبل انتهاء الانتداب البريطاني لفلسطين[6]، وفي قسمه الجنوبي والجنوبي الغربي ترتفع مجموعة من السلاسل الجبلية التي تبلغ مساحتها 8294 كم^2 أي نسبة 30.69% من مساحة فلسطين[7]، وأن الجبال الواقعة في

---

(1) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 14

(2) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 250

(3) أبو سمور، حسن، قصة مدينة بئر السبع ، 8

(4) شراب، محمد، معجم بلدات فلسطين ، 210

(5) أبو سمور، قصة مدينة بئر السبع،7–8

(6) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 122–123

(7) النحال، محمد، فلسطين أرض وتاريخ، 57

جنوب غربي بئر السبع أكثر ارتفاعا من الجبال الواقعة في الجهات الأخرى من القضاء، وتمثل هذه الجبال امتدادا طبيعيا لجبال سيناء الجنوبية، ويعد رأس الرمان الذي يبلغ ارتفاعه 1035م الواقع بالقرب من الحدود الفلسطينية المصرية أعلى قمة في هذه الجبال، بل يعد ثالث القمم الفلسطينية ارتفاعا، أما الجبال الواقعة في الجنوب الشرقي من بئر السبع فإن ارتفاعها يتراوح ما بين 500–844م ومنها جبل أبو علاليق (844م)[1].

فقضاء بئر السبع بموقعه المتوسط يحتل حلقة وصل والممر البري الوحيد بين شبه جزيرة سيناء المصرية من جهة وبين قارة آسيا من جهة أخرى، وقد تمثل ذلك في مجموعة من طرق القوافل التجارية القديمة تصل بين صحراء سيناء وبين مراكز الاستيطان البشري في بلاد الشام[2].

ونظرا لأهمية النقب فقد حاول اليهود التملك فيه طيلة عهد الانتداب البريطاني لفلسطين وساعدتهم حكومة الانتداب البريطاني، ورغم ذلك فلم يحرزوا إلا تقدما قليلا تجسد في إقامة ثلاث مستوطنات زراعية في عام 1943م*[3].

التسمية

وردت في سبب تسمية بئر السبع عدة روايات منها رواية النعاج السبع[4] التي أهداها سيدنا إبراهيم إلى ابيمالك زعيم المنطقة لكي تكون شهادة له بأنه حفر بئراً في هذه المنطقة، لذلك دعي هذا الموقع بئر السبع[5]، وجاء في رواية أخرى عن السبع نعاج بأنه عندما عاد سيدنا ابراهيم من مصر إلى الشام نزل السبع[6] فحفر بها بئرا وبنى فيها مسجدا وكانت غنمه ترد البئر، ولكن أهل السبع آذوه فيها فخرج منها إلى منطقة بين الرملة والقدس، ولما خرج سيدنا إبراهيم من السبع نضب الماء فتقدم أهل السبع حتى أدركوا سيدنا إبراهيم وندموا على ما

([1]) الجبالي، نبيل، جغرافيا الوطن العربي، 175

([2]) عيد، صبحي يوسف، جغرافية الاستيطان الصهيوني في منطقة النجب، 10

* انظر الملحق رقم (2)

([3]) الآغا، نبيل، مدائن فلسطين دراسة ومشاهدات، 392

([4]) نفس المصدر، 393.

([5]) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 10

([6]) سعد، محمد، الطبقات الكبرى، 28/1

صنعوا به فسألوه أن يرجع اليهم فقال لهم: ما أنا براجع إلى بلد أخرجت منه ، قالوا له: إن الماء الذي نشرب منه ونشرب معك منه قد نضب فأعطاهم سبع نعاج من غنمة فقال: اذهبوا بها معكم فإنكم لو قد أوردتموها البئر يظهر الماء معيناً طاهراً[1]

وورد في بعض الروايات بأنها سميت بئر السبع نظرا لوجود سبع آبار قديمة فيها[2]، وهنالك رواية بأن المدينة دعيت بهذا الاسم مأخودة من بئر كان يرده حيوان مفترس وهو السبع[3] ، وهذا ما جاء في معجم ما استعجم بأن السبع نسبة إلى حيوان مفترس وهو السبع[4].

وعلى ما يبدو بأن اسم بئر السبع نسبة إلى البئر الذي حفرها سيدنا ابراهيم عليه السلام حينما كان يجوب المنطقة مع ماشيته ونتيجة لحفر البئر حدث خصام على مياه البئر بينه وبين أبيمالك زعيم المنطقة مما اضطر سيدنا إبراهيم لأن يقدم سبع نعاج تعويضا وشهادة على حفر البئر فسميت المدينة بهذا الاسم وهذه أكثر الروايات أقرب إلى الواقع.

المدينة عبر التاريخ

من اقدم الشعوب التي استقرت في هذه المنطقة القبائل الكنعانية، وخاصة العمالقة واستقرت مع هذه القبائل واختلطت مجموعات من الآموريين مما يدل على أن أصل أقدم من سكن هذه البقعة العرب الذين نزحوا من شبه الجزيرة العربية[5] .

وفي أواخر القرن التاسع عشر قبل الميلاد نزل سيدنا ابراهيم بلاد بئر السبع وأخذ يبشر فيها بالإيمان بإله واحد، ويدعو سكانها إلى اعتناق تعاليم الإسلام، وقد أنشأ فيها مسجدا فكان أول مسجد أقيم في بئر السبع[6]، ومن بئر السبع مر يعقوب بن اسحق وعائلته وهم في طريقهم إلى مصر[7]، وأن نبي الله موسى حاول في بادئ الأمر دخول الأرض المقدسة من ناحية بئر

([1]) محمد، الطبري، تاريخ الطبري، 82/1–83

([2]) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج3، 185

([3]) ابو سمور، قصة مدينة بئر السبع، 9

([4]) الأندلسي، عبد الله، 717/3.

([5]) أبو حجر، أمنة، موسوعة المدن والقرى الفلسطينية، 167/1

([6]) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 379/2

([7]) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 211–212

السبع ولكنه فشل، وأيقن أنهم لا يستطيع التغلب على من كان فيها من العمالقة فدخلوها من ناحية اريحا بعد أن تغلب على الكنعانيين كاد بنو اسرائيل يشرفون على الهلاك في المرة الأولى لولا أنهم ارتدوا على أعقابهم ثم حاولوا مرة أخرى اجتياز منطقة النقب (السبع) واخضاع العمالقة يوم ارسل نبي الله يشوع بن نون الجواسيس إلى السبع ، فجاء الجواسيس ورجعوا[1] وقالوا له أن بها قوما جبارين"[2]، عندئذ عدل بنو اسرائيل عن اجتياز بلاد النقب وحادوا عنها ودخلوا الأرض المقدسة من اريحا[3].

كما خضعت بئر السبع للآشوريين والبابليين والفرس واليونان والرومان، أما في فترة ظهور دولة الأنباط التي شملت كلا من جنوب الأردن وفلسطين فقد بقيت بلاد بئر السبع محطة للقوافل التجارية، بل وزادت التجارة في عهد الانباط حيث كانت بئر السبع محطة القوافل الذاهبة من البتراء إلى غزة ثم إلى مصر بعد ذلك. وكانت القوافل التي تذهب إلى سلوقية* الواقعة إلى الجنوب من بغداد، أو التي تذهب إلى عوجاء الحفير أو إلى شمال عكا وفينيقية أو إلى دمشق وانطاكيا كانت كلها تمر بمنطقة بئر السبع[4].

وعندما استولى الفرس على فلسطين 538 ق.م سمح الملك كورش لليهود بالرجوع من المنفى بعد السبي البابلي فنزلوا في الجبال وفي قسم من السهل الممتد إلى بئر السبع، ومن هذه المدينة مرت جيوش الفرس عندما توجهوا إلى مصر لاحتلالها[5].

ولما تحولت الطرق التجارية في أوائل القرن الثالث الميلادي عن بلاد الانباط وعمل الفرس على تحويل تجارة الهند واليمن عن طريق البتراء وتحويلها إلى الخليج العربي والفرات

([1]) ابو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 12/1

([2]) المائدة، 22

([3]) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 212

* عاصمة الدولة السلوقية أسسها السلوقيين على ضفاف نهر دجلة في عام 312 ق.م، وفي عام 135 ق.م تلقت ضربة قاسية من كسرى فهجرها الناس وأخذ يعمها الخراب منذ ذلك الحين، باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، تاريخ الفرات، ص219.

([4]) ابو سمور، قصة مدينة بئر السبع، 13–14

([5]) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 223

وتدمر، ضعف ازدهار بئر السبع فانكمشت واضمحل الكثير من تلك المحطات التي لم يبق منها إلا الآثار التي تدل على ما كان لها من تقدم ورخاء[1].

وفي عام 63ق.م احتل القائد الروماني بومبي فلسطين ولكنه لم يحتل المنطقتين الجنوبية والشرقية من بلاد السبع الحالية بل ظلتا بيد الأنباط، ولم تدخل بئر السبع في حوزة الرومان إلا عام 117م، ومن الأعمال التي قام بها الرومان أنهم حالفوا البدو الرحل ومنحوهم الألقاب والرتب ثم استخدموهم لا في سبيل توطيد الأمن فقط، بل في سبيل التعمير والإصلاح[2]، وقد قطع الرومان شوطاً كبيراً في سبيل إعمار هذه البلاد، فبنوا المعابد والكنائس والمخافر والحصون كما عبدوا الطرق، وحفروا الصهاريج وأنشأوا المجاري والسدود، وغرسوا الأشجار[3].

وفي القرن الثاني الميلادي تعرض الرهبان المتدينون المسيحيون للاضطهاد من قبل أهل مصر والشام، فهاجروا إلى الصحراء الفلسطينية وما حل القرن الرابع الميلاد حتى أصبحت بئر السبع مركزاً للرهبان والمسيحيين المتدينين[4]، وممن اشتهر من الرهبان في ذلك العهد القديس موسى الحبشي الذي تولى رعاية العرب المقيمين في شبه جزيرة سيناء وفي صحراء فلسطين[5].

دخل العرب المسلمون هذه المدينة حين فتحوا فلسطين [6]، في القرن السابع للميلاد وقرر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعيين القائد عمرو بن العاص والياً على فلسطين وما جاورها[7]، وقد عرفت بئر السبع بتاريخها بعد الفتوحات الإسلامية بأنها بلدة عمرو بن

([1]) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 380/1–381

([2]) عارف العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 226.

([3]) نفس المصدر، 228–229.

([4]) أبو سمور، حسن، قصة مدينة بئر السبع.

([5]) لامنس، هنري، تسريح الأبصار فيما يحتوي لبنان من آثار، 112/1–113.

([6]) شراب، محمد، معجم بلدان فلسطين، 211.

([7]) الآغا، نبيل، مدائن فلسطين دراسة ومشاهدات، 394.

العاص[1]، وكان له قصر فيها يعرف بعجلان نزلة عندما اعتزل الناس بعد عزله من مصر[2].

وكانت بئر السبع معروفة في العصر الأموي[3]،وقد اتت سليمان بن عبد الملك الخلافة وهو بالسبع[4]، وأن سعيد بن عبد الملك عامل الوليد بن يزيد بن عبد الملك على فلسطين كان نازلاً في بئر السبع لما بلغه مقتل الخليفة الوليد سنة 126هـ– 744م[5].

وعلى ما يبدو أن قلة الأمطار وكثرة المحل وتحول الطرق التجارية من الأسباب التي أدت إلى تأخر بئر السبع تأخراً عظيماً حتى أنها لم تذكر في العصور التالية ولم يكن لها شأن في الحروب الصليبية (حروب الفرنجة) لأن الصليبيين لم يتقدموا كثيراً جنوباً [6]، إلا أن رتشارد* قلب الأسد اتخذ موقع تل الحسى ووادي قصابة قاعدة حربية مرتين: مرة عندما عبر وادي الحسى أثناء مجيئه من السهل الغربي ومرة أخرى عندما هبط الجنوب ليقطع الطريق على قافلة تجارية كبيرة كانت قادمة من مصر، كما أن بضعة أفراد من البدو اتفقوا مع أصحاب الأراضي من الصليبيين على أن يرعى البدو مواشيهم في أراضي الصليبيين لقاء مبالغ معينة من المال[7].

([1]) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 12/3.

([2]) الأندلسي، عبد الله، معجم ما استعجم، 718/1.

([3]) أبو حجر، آمنة، موسوعة المدن والقرى الفلسطينية، 169/1.

([4]) الحموي، شهاب الدين، معجم البلدان، 185/3.

([5]) محمد، الطبري، تاريخ الطبري، 25/9.

([6]) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 346/1.

* ريتشار الأول ويعرف باسم ريتشارد قلب الأسد ولد في اكسفورد عام 1157م، تولى حكم انجلترا بعد أبيه هنري الثاني، انشغل منذ توليه عرش انجلترا بالاستعداد للقيام بحملة صليبية وهي الثالثة، حارب ريتشارد صلاح الدين وفشل في الاستيلاء على بيت المقدس، ولذلك عقد مع صلاح الدين صلح الرملة عام 1192م، ثم عاد إلى بلاده وفيس عام 1199م مات ريتشارد قلب الأسد بسهم، عمران، محمد، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، 302–303.

([7]) عارف العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 240.

القرى

يضم قضاء بئر السبع العديد من القرى* وهي:

1- الخلصة

تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة بئر السبع وتبعد عنها 15 كم، وتبلغ مساحة أرضها 345 دونما[1] ترتفع عن سطح البحر 275م[2]، كان اسمها إيلوما أيام الرومان وأسسها الأنباط في القرن الثالث قبل الميلاد محطة على طريق العطور، تطورت أيام الانباط ووصلت إلى قمة تطورها في عهدهم[3] .

كانت من محطات القوافل القادمة من البتراء إلى غزة[4]، وبها مركز تجاري عظيم على طريق القدس –سينا– عام 530 بعد الميلاد وعلى الطريق التي تربط العقبة بموانئ البحر المتوسط فقد كان التجار يأتون بالحرير من سيلان إلى موانئ البحر المتوسط ومن أواسط فلسطين إلى أقصى شمال سوريا، وهذا كله كان يمر عن طريق الخلصة التي كانت مركزا مهما للتنقل في ذلك الحين ولذلك بني فيها جوستانيان•حصنا منيعا ومخفراً كبيراً للجنود[5]. وقد ظلت الخلصة مأهولة أيام الرومان [6].

---

* انظر المحلق رقم (3)

(1) أبو الهدى، سامح، جغرافية فلسطين دراسة طبيعية اقتصادية سياسية، 434

(2) أبو مايلة، يوسف، القرى المدمرة في فلسطين حتى عام 1952، 150

(3) عراف، شكري، المواقع الجغرافية في فلسطين، 233

(4) الخالدي، وليد، كي لا ننسى قرى فلسطين التي دمرتها اسرائيل، 6

• جوستانيان: امبراطور بيزنطي حكم من (527–565م)، كان يعمل على توحيد الامبراطورية بشقيها الشرقي والغربي، حيث قام باستعادة الأراضي التي سيطر عليها الجرمان ونجح في استعادة ولاية افريقيا من الوندال واستعادة ايطاليا من القوط الشرقي، كما قضى على ملك القوط الغربي في اسبانيا واقتطع الجزء الجنوبي الشرقي من مملكتهم وضمه إلى بيزنطة، ولكن بموته تهاوت دولته وتلاشت فكرة توحيد الامبراطورية. عكاشة، علي، اليونان والرومان، 110.

(5) عارف العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 46

(6) الدباغ، مصطفى، موسوعة بلادنا فلسطين، 462/1

ولا يعرف إلا القليل عن الخلصة في الفترة الإسلامية المبكرة، إلا أن أهمية الخلصة تلاشت مع انحطاط الطرق التجارية في بئر السبع ولم تلفت الانظار إلا في أوائل القرن العشرين[1]. حيث ذكرها الجنرال التركي علي فؤاد في مذكراته في اثناء حرب الدولة العثمانية على البريطانيين في مصر حيث قال: "وقد وصلنا إلى المنزل الأول في الخلصة بعد ثلاث ساعات وهناك بئر مستنبط حديثا وخيام منصوبة وراية مركوزة ولوحة مكتوب عليها منازل الخلصة"[2]، وأن أكثر احجار الخلصة نقل في العهد التركي إلى غزة حيث استعمل هناك في بناء البيوت، كما أن قسما منها نقل إلى بئر السبع واستعمل في بناء مئذنة الجامع الكبير[3] وقد نقب في الخلصة عام 1938، وعثر المنقبون على أنقاض مدينة وقطع معمارية ومدافن[4].

وفي أيام الانتداب البريطاني بنيت في الخلصة مدرسة ابتدائية سنة 1941م[5]، وقد قدر عدد سكانها عام 1945 حوالي 150 نسمة وفي 1948/11/17 قامت المنظمات الصهيونية المسلحة بهدم القرية وتشريد أهلها[6].

2- الجمامة

تقع إلى الشمال الغربي من مدينة بئر السبع وتبعد عنها 39 كم، تبلغ مساحة أراضيها 655 دونما[7]، كانت طريق فرعية تربطها بقرية برير قضاء غزة ثم تفضي إلى طريق عام يؤدي إلى غزة ويمتد في موازاة الطريق العام الساحلي. ونظرا إلى شبكة الطرق المماثلة التي تربطها بقرى أخرى فضلا عن الطريق العام بين بئر السبع وغزة إلى الجنوب الغربي فقد

([1]) الخالدي، وليد، كي لا ننسى قرى فلسطين التي دمرتها اسرائيل، 106

([2]) هكذا غزونا مصر، 106.

([3]) الدباغ، مصطفى، موسوعة بلادنا فلسطين، 426/2

([4]) الوقائع الفلسطينية،1596، 24-11-1944- ع1596.

([5]) الخالدي، وليد، كي لا ننسى قرى فلسطين التي دمرتها اسرائيل، 7

([6]) أبو حجر، المدن والقرى الفلسطينية، 178

([7])ابو الهدى، سامح، جغرافية فلسطين دراسة طبيعية اقتصادية سياسية، 434

كانت الجمامة تعتبر مدخلا إلى فلسطين الجنوبية[1]، اشتهرت بزراعة الحبوب ولا سيما القمح والشعير، وتعتمد الزراعة فيها على الأمطار ويهتم سكانها بتربية الأغنام لوفرة المراعي[2].

وفي عام 1917 كانت الجمامة مركزا للكتيبة العثمانية الثالثة، وعند نهاية الحرب العالمية في عام 1918م تغلب البريطانيون على القوة العثمانية في الجمامة وهذا أدى إلى احتلال البريطانيين للقرية[3].

وفي فترة الانتداب كانت تحتوي على 120 منزلاً مبنية من الحجارة ومسقوفة بالطين والخشب وكانت متقاربة من بعضها البعض، ويفصل بينها بعض الدكاكين في الوسط، أما الأبنية المتردية فكانت تستعمل مخازن للحبوب وزرائب للحيوانات[4]. وفي سنة 1933 أقامت الحكومة البريطانية مدرسة حكومية في الجمامة إلا أنها اضطرت لإغلاقها في خريف نفس السنة لعدم انتظام الدوام فيها، ثم بوشر التدريس فيها مرة ثانية في عام 1944[5].

وفي عام 1948 اجتمع عدد من رجال قبيلة التياها المسلحين وعينوا موقع الجمامة لتكون قاعدة ومقر لقيادتهم فحفروا المواقع الدفاعية ثم بدأوا يهاجمون دوريات اليهود، وينصبون لهم الكمائن، الأمر الذي دعا العصابات الصهيونية أن تحشد قوة كبيرة استعداداً لاحتلال هذه القاعدة، والقضاء على المناضلين فيها والذين كان عددهم ثمانين مسلحا جميعهم من التياها، فبدأ اليهود بقصف مدفعي تمهيدي، تخلله رماية كثيفة من نيران الأسلحة المتوسطة، فرد المدافعون على النار بالمثل ودارت معركة غير متكافئة بين المدافعين العرب والمهاجمين اليهود، استمرت ثماني ساعات وأسفرت المعركة عن سقوط الجمامة في أيدي القوات الصهيونية[6].

([1]) الخالدي، وليد، كي لا ننسى قرى فلسطين التي دمرتها اسرائيل، 4

([2]) ابو حجر، المدن والقرى الفلسطينية، 178/1

([3]) أبو النصر، عمر، مجلة الحرب العظمى 1/33.

([4]) الخالدي، وليد، كي لا ننسى قرى فلسطين التي دمرتها اسرائيل، 4

([5]) الدباغ، مصطفى، موسوعة بلادنا فلسطين، 442

([6]) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 2/93–94.

3- عوجا الحفير

تقع جنوب غرب بئر السبع على بعد 3 كيلو متر عن الحدود المصرية[1]، وتبعد عن بئر السبع 77كم من الجهة الجنوبية الغربية وتربطها بها طريق معبدة أنشأها الأتراك في أثناء الحرب العالمية الأولى[2]، وهي قرية بيزنطية حيث عثر فيها على آثار ترجع إلى العهد البيزنطي، وقد عثر البناؤون في العهد التركي عام 1911 على أرض مرصوفة بالفسيفساء يرجع عهدها إلى سنة 435 م في أثناء حفرهم أساس المضافة التي أقامها العثمانيون هناك، كما عثر على أنقاض وبقايا كنائس وأديرة وعلى آبار في السهل[3].

وقد صدر أمر من الإدارة العثمانية ببناء هذه القرية بتاريخ 1908 وان أول والٍ تركي عين لهاهو (ممنلي زاده محمد نابي بك)، وجاء أكرم بيك متصرف القدس إلى هذه القرية ليقوم بتنفيذ الأمر كما أن العثمانيين قد أقاموا مخفرا على أنقاض المخفر الذي اقامه البيزنطيون قبل ألف وخمسمائة سنة تقريبا، كما أنشأ الأتراك فيها مضافة ودارا للحكومة، واتخذوها مستودعا للذخيرة ومركزا لحركاتهم الحربية[4]

وفي الحرب العالمية الأولى 1914–1918 كان لها شأن كبير لوقوعها على الطريق المؤدي إلى قناة السويس، وقد ذكر على فؤاد رئيس أركان حرب الجيش الرابع العثماني بأنها آخر مركز للعثمانيين في فلسطين وهي مركز سرية نظامية وفيها ثلاثة أبنية مشيدة ووراءها بقليل الخط الذي يفصل مصر عن تركيا وفيها أيضا منزل ومستشفى وذخيرة ومركز برق وماء عذب[5].

وخلال هذه الحرب أنشأ العثمانيون طريقاً يصل من عوجا الحفير إلى بئر السبع بطول 75 كم[6]. وبعد الاحتلال الانجليزي بقيت العوجاء مركزا تجاريا إداريا مرتبطاً بقضاء بئر السبع

([1]) شراب، محمد، معجم بلدان فلسطين، 550

[2] عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 61

[3] الوقائع الفلسطينية، 24–11–1944– ع1619

[4] عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 64

[5] كيف غزونا مصر، 107

[6] خمار، قسطنطين، موسوعة فلسطين الجغرافية، 180

فيه قائم مقام وفيه مدرسة صغيرة حتى عام 1932، حيث قررت الحكومة البريطانية إلغاء المدرسة والقضاء كله والاكتفاء بمخفر صغير فيه عدد قليل من الجنود وجهاز لا سلكي لأجل توطيد الأمن[1].

وقد قدر عدد سكانها عام 1945 بحوالي 255 نسمة وفي 1948/12/27 قامت المنظمات الصهيونية بهدم القرية وتشريد أهلها[2].

4- كرنب

تقع إلى الجنوب من مدينة بئر السبع وتبعد عنها أربعين كيلو مترا[3]، على ارتفاع 600م تقريبا عن سطح البحر[4]، وهي واقعة في أراضي قبيلتي القديرات والظلام، على سفح تلة صغيرة بين جبلين وتربطهما بئر السبع طريق غير معبد، وقد أنشئت حولها العديد من السدود القديمة للاستفادة من مياه الأمطار[5]، كانت جميع الأراضي التي حولها معدة للزراعة ويظهر من الآثار أن أنشاء السدود حولها جاء لمنع تسرب مياه الأمطار إلى الوديان، إذ كان السكان في الأزمنة القديمة يعتمدون على مثل هذه السدود ليتمكنوا من ري الأراضي[6].

كان يظن أن المنطقة الواقعة بين الكرنب والبحر الميت غنية بالبترول إلا أن البحوث التي أجريت باءت بالفشل[7]. وقد جاءت إلى الكرنب العديد من البعثات لاستخراج النفط بحيث بلغت عشر بعثات بدأت من عام 1849 وكانت شركة (ستاندرد أويل كومباني) 1917 من أكبر الشركات التي خاضت غمار البحث عن البترول وهي الشركة التي ألفها اسماعيل بيك الحسيني وسليمان بك نصيف وسليم بيك أيوب، وقد حصلوا على رخصة التنقيب قبل الحرب

---

[1] عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها ، 65

[2] أبو حجر، أمنة، موسوعة المدن والقرى الفلسطينية، 178/1

[3] نفس المصدر، 1/ 179

[4] عراف، شكري، المواقع الجغرافية في فلسطين، 276

[5] عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها ، 66

[6] أبو خوصة، بئر السبع والحياة البدوية، 20/1

[7] الدباغ، مصطفى، موسوعة بلادنا فلسطين، 445/1

العالمية. إن البحث عن البترول في كرنب ووجودها على الطريق المؤدية إلى وادي عربة جعلها مهمة من الوجهتين الإدارية والعمرانية[1]، سكنها نحو 100 نسمة سنة 1945[2].

وقد قامت العصابات الصهيونية المسلحة بهدم القرية وتشريد أهلها في 1948/11/23 وعلى أنقاضها أقاموا مستعمرة ديمونا[3] في جهتها الشمالية الغربية[4]

5- عبدة

تبعد زهاء 50 كم في خط مستقيم باتجاه جنوب مدينة بئر السبع[5]، وعلى بعد 172 كم من خليج العقبة[6]، على علو 100م فوق سطح البحر[7]، واسمها مأخوذ من ملكها عبدة* النبطي المدفون فيها الذي يرجح أنه هو الذي قام بنائها[8]، وعرفت في العهد الروماني باسم ابودا وكانت في العهدين النبطي والروماني مدينة مزدهرة ومحطة على طريق القوافل التجارية المارة من العقبة عبر النقب فالبتراء فعبدة فالخلعة ثم بئر السبع[9].

كانت تحتوي عبده على أنقاض مدينة وحصن وحمام ومعسكر روماني وقبور نبطية ومخافر رومانية على طريق عسلوج[10].

---

[1] عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها ، 70

[2] عراف، شكري، المواقع الجغرافية في فلسطين، 267

[3] أبو حجر، المدن والقرى الفلسطينية، 179/1

[4] الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 445/2

[5] أبو حجر، آمنة، المدن والقرى الفلسطينية، 175/1.

[6] الدباغ مصطفى، بلادنا فلسطين، 465/1.

[7] عراف، شكري، المواقع الجغرافية في فلسطين، 263.

* عبيدة أو (عبادة الثاني) ملك نبطي يعود تاريخ حكمه إلى الفترة ما بين 30 قبل الميلاد لغاية عام 8 قبل الميلاد كانت في زمنه العلاقات الخارجية جيدة مع الإمبراطورية الرومانية، وظهرت العلاقات النبطية الرومانية عندما طلب الأمبراطور أغسطس من عبادة أن يساعده في بعض رجاله لضم اليمن للأمبراطورية الرومانية، لمعرفة الأنباط بمسالك الطرق، كما أصدر الملك عبادة نقود نبطية في عهده والتي كتب عليها عبادة الملك، ملك الأنباط، محيسن، زيدون، الحضارة النبطية، 11.

[8] الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 465/2.

[9] أبو حجر، المدن والقرى الفلسطينية، 176/1.

[10] الوقائع الفلسطينية، 24-11-1944-ع1625

ولقد عثر المنقبون فيها على بقايا معبد نبطي كبير يقولون إن بطل الانباط عبودا قد انشأة وعثروا على كنيسة ومدينة بيزنطينية ،كما انهم عثروا حول عبدة وتحتها على اثار استنتجوا منها انه كانت هناك بلدة متوسطة الحجم وان عدد سكانها بلغ 800نسمه. وفيها قبور شبيهة كل الشبه بالقبور في البترا. [1]

وفي العصر الحديث ظلت عبده موقعاً بدوياً صغيراً حتى أوائل القرن العشرين عندما استقر فيها عدد ضئيل من أفراد قبيلة العزازمة وبنو فيها بيوتهم من الحجر والطين. كما اتخذ سكان عبده الزراعة والرعي حرفتين رئيسيتن لهم، وزرعوا مساحات صغيرة مبعثرة حول مصادر المياه وفي بطون الأودية بالحبوب والخضار[2]. وفي عام 1948 دمر الصهاينة بيوتها[3].

6- عسلوج

قرية تقع على مسافة 30كيلو متراً جنوب بير السبع[4]، وهي واقعة على الطريق العام التي تربط هذه بالعوجا والتي عبدها الأتراك في أثناء الحرب العالمية الأولى[5]، وإلى جانبها مرت سكة الحديد العثمانية التي نقلت الجنود إلى سيناء في أثناء الحرب العثمانية على الإنجليز في قناة السويس 1916م[6]، سكانها بدو شبه رحل[7]، أقام فيها العثمانيون مسجداً له مئذنة، سكن عرب العزازمة عسلوج وحولها لوجود مصدر مياه غني[8].

وقد اتخذها الانتداب البريطاني مستودعاً لجمع المؤونة والأرزاق والمعدات الحربية، وقد تم توزيع المؤونة عندما طغي الجراد على بئر السبع عام 1930م[9]، كما أقاموا فيها مخفر

([1]) عارف العارف ، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 58.

([2]) أبو حجر، أمنة، المدن والقرى الفلسطينية، 175/1.

([3]) شراب، محمد، معجم بلدان فلسطين، 517.

([4]) نفس المصدر، 534.

([5]) عارف العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 60.

([6]) عراف، شكري، المواقع الجغرافية في فلسطين، 470.

([7]) أبو حجر، آمنة، موسوعة المدن والقرى الفلسطينية، 175/1.

([8]) عراف، شكري، المواقع الجغرافية في فلسطين، 470.

([9]) عارف العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 59–60.

شرطة[1] وفي بطن الوادي جنوب غرب عسلوج، بئر الثميلة* حيث قيل إن مولد إسماعيل عليه السلام كان بقربها[2] وقد قدر عدد سكانها عام 1945 حوالي 500 نسمة[3].

7- السكرية

تقع في الشمال الغربي لمدينة بئر السبع، وهي من أقدم قرى قضاء بئر السبع. سكنها العرب الكنعانيون وأطلقوا عليها اسم صقرير وبعد الفتوحات الإسلامية حرف إلى سكرية بدل صقرير[4]، وقد عثر فيها المنقبون على كتابة عربية وبقايا خان وأساسات وشقف فخار وحجارة وقواعد وأعمدة[5]، وهي من ضمن أراضي قبيلة الجبارات[6]. وعشيرة الرتيمات* هي أول عشيرة ملكت أراضي السكرية في زمن الفتوحات الإسلامية وأصبحت ملكا لهم منذ ذلك العهد [7].

وتشتهر أراضي السكرية بخصوبتها، حيث تعد من أخصب أراضي السبع حيث كانوا يسمونها البقرة الحلوب، لكثرة خصوبتها وإنتاجها كما كثرت الينابيع والمياه في أرض السكرية وأهمها بئر السكرية وهذا أغزرها مياها وهو ملك للعشيرة كلها، ثم بئر العدوس وتأتي في درجة الثانية بعد السكرية، كما في هذه المنطقة غدران الماء والأودية المملوءة بالماء[8].

([1]) عراف شكري، المواقع الجغرافية في فلسطين، 470.

* الثميلة: عين ماء في بطن وادي كما يسميه عرب السبع، أبو خوصة، أحمد بئر السبع والحياة البدوية 21/1.

([2]) شراب، حسن، معجم بلدان فلسطين، 534.

([3]) أبو الهدي، سامح إبراهيم، جغرافية فلسطين، دراسة طبيعة اقتصادية ساسية، 434.

([4]) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 22/2.

([5])الوقائع الفلسطينية، 24-11-1944 ع1557.

([6]) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 413/2.

* الرتيمات: وهم إحدى عشائر الجباوات ويقال لهم الصوايحة نسبة لجدهم الصايح وهو من العراق وقد أنجب جدهم الصايح ثلاثة أولاد: زيد وخلف الزيو وحلاف خلف الحلاف ورزق الرزيقات وكلهم عشائر في بئر السبع، عارف العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 147.

([7]) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 413/2.

([8]) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 22/2.

8-سبيطة

تقع في شمال غرب النقب، وترتفع 360م عن سطح البحر[1]، تبعد 45 كم من بئر السبع[2]، وتقع على بعد كيلو مترين من طريق بئر السبع ــ العوجاء، وهي بلدة نبطية ازدهرت في عهد البيزنطيين[3].

تدل آثارها على أنه لم يكن فيها نبع في الأزمنة المتقدمة، وما كان فيها سوى صهاريج وهو ما يسميه البدو بالهراب* ويظهر أن هذه كانت كثيرة العدد بحيث كان لكل بيت منها، وشوارع البلدة كانت مرصوفة بطريقة مائلة مما يساعد على انحدار ماء المطر فيها إلى الصهاريج[4].

كانت سبيطة مركزاً دينياً مهماً، حيث كشف فيها عن ثلاث كنائس ومبنى عام ومعاصر عنب واصطبلات للخيل[5]، كما عثر فيها على صهاريج وخزانات مياه[6]. ويخيل للناظر في أثارها أن زلزالاً حديثاً أرغم أهلها على إخلائها[7].

9-رحيبة:

تقع إلى الجنوب الغربي من بئر السبع على بعد 30 كيلوا متراً، كانت تقوم عليها بلدة (رحوبوت) الكنعانية[8]، وهي ذات أهمية كبيرة لأنها واقعة على طريق مصر. وقد وجدت أيضاً على نفس الطريق التجارية التي وجدت عليه الخلصة، وسكانها كانوا تجاراً ومزارعين في نفس الوقت[9]. وقد عثر فيها على أنقاض مدينة بزنطية، بالإضافة إلى خزان مبني

([1]) عراف شكري، المواقع الجغرافية في فلسطين، 449.

([2]) عارف العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 50.

([3]) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين 663/2.

* هو بئر جمعة ويسمى عند البدو هرابة ويحفر حفرا وتعمل عليه قنوات من كل جانب لجلب الماء، أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 23/2.

([4]) عارف العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 51.

([5]) عراف شكري، المواقع الجغرافية في فلسطين، 449.

([6]) الوقائع الفلسطينية، 1607، 24-11-1944-ع1607.

([7]) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 663/2.

([8]) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 462/1.

([9]) عارف العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 48.

بالحجارة ومقابر وبئر ماء[1]. كانت شوارعها ضيقة، ولكن أبنيتها متناسقة وفي وسطها ميدان صغير للعامة على ما يبدو بأنه كان السوق. وجميع الآثار التي وجدت فيها ترجع إلى العهد البيزنطي، وهذا يؤكد أنها بنيت في هذا العصر[2].

التلول في قضاء بئر السبع

1- تل جمة

يبعد عن السبع 35 كيلو متراً من جهة الشمال الغربي وعن تل الفارعة 12 كيلو متراً للشمال[3] ويرتفع التل 61.9 متر عن سطح البحر [4]. كانت تقوم على هذا التل مدينة حرار الكنعانية. وعلى بعد بضعة أميال من التل خربة يسميها البدو في الوقت الحاضر (أم جرار) وهذه الخربة التي أنشئت في العهد الروماني هي أبنية حرار القديمة، وهذا ما جعل السر فلندرس مدير مدرسة الآثار الانجليزية في مصر يعتقد بأن تل جمة هو جرار، لأن الرومان كانوا ينشئون مدنهم بالقرب من التلول وليس فوق التلول نفسها[5]. وجرار اليوم خربة من أملاك عرب الترابين يقولون لها أم جرار[6].

2- تل أبي هريرية:

يقع على بعد 23كم عن مدينة بئر السبع ويرتفع 136 متراً عن سطح البحر[7]في هذا التل مقام على ضفاف وادي الشريعة في بئر السبع، وهو مقام أبو هريرة أحد صحابة رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم). وبالرغم من وقوع هذا المقام في أراضي التياها إلا أن الملالحة يعتقدون فيه أكثر من غيرهم. ويقولون بأنه جدهم فيزورونه في كل فرصة، ويذبحون في مقامه القرابين، وتكثر زياراتهم لهذا المقام بعد حصاد الزرع، ويعتبرون زيارته بعد الحصاد

([1]) الوقائع الفلسطينية، 1550. 24-11-1944.

([2]) عارف العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 48.

([3]) عارف العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 35.

([4])عراف، شكري، المواقع الجغرافية في فلسطين، 136.

([5]) نفس المصدر، 35.

([6]) عارف العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 38.

([7]) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 446/2.

فرضاً لازماً، ولو مرض أحدهم ولم يستطيع زيارته وامتنع عن زيارته لأي سبب يذبح قرابين ويهديها لهذا المقام[1]

وقد عثر المنقبون في هذا التل على أنقاض تل وجدار مبني باللبن بالإضافة إلى تحصينات منحدرة وشقف فخار[2]

3- تل الفارعة:

يقع على بعد 24 كيلو متر جنوب شرقي غزة و30 كيلو متراً غرب بئر السبع، وفي الجنوب الشرقي من تل جمة[3] يرتفع 121م عن سطح البحر ويقع على الجهة اليمنى لوادي الشلالة وهو ضمن أراضي قبيلة الترابين[4] وتبلغ مساحته 66 دونماً تقريباً [5]. وعلى قمة التل أنشأ فابيانوس القائد الروماني قلعة حصينة[6]، كما بنى الرومان حوله سور لمنع هجمات البدو[7].

4- تل الحسى:

يبعد حوالي 26 كيلو متراً للشمال الشرقي من غزة أقام عليه الأموريون مدينة عجلون، إحدى مدنهم التي أسسوها في جنوب فلسطين[8]، يقع تل الحسى على ضفة وادي الحسى في أراضي قبيلة الجبارات من قبائل بئر السبع تحيط به أرض خصبة وبالقرب منه ينابيع ماء تكفي لسد حاجة عشائر الجبارات وإسقاء مواشيهم[9]. وفي الشرق من تل الحسى عثر على أنقاض سد مائي[10].

([1]) عارف العارف، القضاء بين البدو، 261.

([2]) الوقائع الفلسطينية، 24-11-1944- ع1496.

([3]) شراب، محمد، معجم بلدان فلسطين، 232-233.

([4]) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 20/2.

([5]) عراف، شكري، المواقع الجغرافية في فلسطين، 136.

([6]) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 430/1.

([7]) عراف، شكري، المواقع الجغرافية في فلسطين، 154.

([8]) شراب، محمد، معجم بلدان فلسطين، 229.

([9]) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 19/2.

([10]) الوقائع الفلسطينية، 24-11-1944-1375.

ويظهر أن وادي الحسى ووادي قصابة بالقرب منه كانا ذوا مياه غزيرة لا تنقطع طوال أيام السنة، حتى أن ريتشارد قلب الأسد اتخذ هذا المكان قاعدة حربية مرتين، مرة عندما عبر وادي الحسى أثناء مجيئه من الشاطئ، واخرى عندما هبط إلى الجنوب لقطع الطريق على قافلة تجارية كبيرة كانت قادمة من مصر ومن هنا يتبين أن الصليبيين عرفوا هذا المكان ونزلوه وكان لهم فيه شأن[1]، بحيث أن صلاح الدين الأيوبي خرب قلعتها بعد أن استرجعها من أيدي الصليبيين[2].

5- تل الملح:

يقع جنوب شرق بئر السبع[3]، على بعد 25 كيلو متر منها وهو واقع في أراضي الظلام من قبيلة التياها[4]، يرتفع 400 متراً تقريباً عن سطح البحر، عليه بقايا قلعة رومانية قديمة[5]، كانت تقوم عليه بلدة مولادة الكنعانية[6].

وهو عبرة عن مجموعة خرائب وآثار، وفي تل الملح قبور عربية وخرائب تدل على أنها كانت مدينة عظيمة وقد كان يطلق عليها قديماً اسم الملح[7].

([1]) عارف العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 73-74.

([2]) عراف، شكري، المواقع الجغرافية الفلسطينية، 137.

([3]) أبو مايلة، يوسف، القرى المدمرة في فلسطين حتى عام 1952، 150.

([4]) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 20/2.

([5]) عراف، شكري، المواقع الجغرافية الفلسطينية، 164.

([6]) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 443/1.

([7]) عارف العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 43-44.

6- تل خويلفة

تل من الأنقاض على تل طبيعي[1]، يقع في أراضي عشيرة الرماضين في شمال شرق بئر السبع[2]، على بعد 25 كليو متر، كما يبعد 16 كيلو متر للشرق من تل الشريعة ويرتفع 452 متراً عن سطح البحر[3]، وقد ذكر خويلفة ياقوت الحموي بأنها موضع بنواحي فلسطين[4].

وفي فترة الحروب الصليبية هاجم ريتشارد قلب الأسد قافلة للمسلمين قادمة من مصر عند آبار خويلفة ولم يكن المسلمون مستعدين للهجوم، ولم تستمر المعركة إلا وقتاً قصيراً استولى ريتشارد في إثرها على كل القافلة بما حوته من سلع قيمة، وكميات ضخمة من المؤن، وبضعة آلاف من الجياد والإبل[5].

كما كان التل نقطة مراقبة عثمانية في الحرب العالمية الأولى[6]، وفي اليوم الثاني من احتلال بئر السبع هاجم البريطانيون خويلفة، وقد جرت فيها معارك ضارية أقسى وأشد من المعارك التي حدثت حول بئر السبع نفسها وقد خسر الإنجليز فيها عدد من جنودهم[7].

وقد عثر المنقبون فيها على جدران مهدمة وقطع أعمدة وعتبات أبواب ومغر وصهاريج وبئر[8].

([1]) الوقائع الفلسطينية، 24-11-1944-ع1498.

([2]) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 22/2.

([3]) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 447/1.

([4]) معجم البلدان، 408/2.

([5]) رنسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، 131/3.

([6]) عراف، شكري، المواقع الجغرافية في فلسطين، 138.

([7]) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 22/2.

([8]) الوقائع الفلسطينية، 24-11-1944-ع1543.

1-خربة عجلان

تقع إلى الشرق من قرية برير[1]، بنحو 8 كيلو مترات[2]، ترتفع نحو 471 قدماً عن سطح البحر، وفي العهد الروماني كانت تقوم على هذه الخربة قرية عرفت باسم أغلا[3].

وفي عهد الخليفة أبو بكر الصديق فتح عمرو بن العاص أجزاء من فلسطين، فقد فتح غزة ثم سبسطية ونابلس وأعطى أهلها الأمان عن أنفسهم وأموالهم ثم فتح مدينة اللد، ثم عمواس وبيت جبريل واتخذ بها ضيعة تدعى عجلان باسم مولى له [4]. وبيت جبريل لا تبعد عن عجلان سوى مسافة قليلة[5].

وقد أقام عمرو بن العاص في موقع هذه الخربة وأطلق عليه عجلان باسم مولى له[6]، وتحتوي خربة عجلان على أنقاض تل وآثار وأساسات أبنية[7].

2-خربة فوتيس

تقع إلى الشمال الغربي من مدينة بئر السبع وتبعد عنها 17 كيلو متر[8] تبلغ مساحة أراضيها 1000 دونم[9]، كانت تقوم عليها بلدة أفتا الرومانية[10]، قدر عدد سكانها عام 1945 حوالي 150 نسمة، قامت المنظمات الصهيونية بهدم القرية وتشريد أهلها عام 1948م[11]، وقد عثر فيها على أنقاض ممتدة وصهاريج مبنية بالحجارة[12].

([1]) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 19/2.

([2]) أبو حجر، أمية، موسوعة المدن والقرى الفلسطينية، 179.

([3]) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 418/2.

([4]) البلاذري، أحمد، فتوحات البلدان، 188/3.

([5]) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 418/2.

([6]) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 19/2.

([7]) الوقائع الفلسطينية، 24-11-1944-ع1568.

([8]) أبو الهدي، سامح، جغرافية فلسطين دراسة طبيعية اقتصادية سياسية، 434.

([9]) أبو حجر، أمية، موسوعة المدن والقرى الفلسطينية، 179/1.

([10]) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 450/2.

([11]) أبو الهدي، سامح، جغرافية فلسطين دراسة طبيعية اقتصادية سياسية، 434.

([12]) الوقائع الفلسطينية، 24-11-1944- ع1577.

3- خربة معين

ترتفع 100 متر عن سطح البحر[1]، كان اسمها منيواس أيام الرومان[2]، وتحتوي هذه الخربة على آثار مبان وشقف فخار ودبش وصهاريج[3]، وعلى القمة في الشمال الشرقي مبانٍ مهدمة على مساحة 10 دونمات تقريباً[4].

وفي عام 1948م استطاعت عشيرة أبو ستة من قبيلة الترابين أن تحصل على السلاح، عندما دق ناقوس الخطر دفاعاً عن الأرض وقد تواجد المسلحون في خربة معين واتخذوها قاعدة لهم فكانوا يهاجمون مواقع اليهود بشكل غارات سريعة وكانوا يصنعون الكمائن لقطع خط أمداد العدو، كما كانوا يقطعون الخطوط الهاتفية لعرقلة سير محادثاتهم الهاتفية، مما جعلهم يستعملون الأجهزة اللاسلكية. وكانت أعمالهم البطولية قد زعزعت العدو وضيقت الخناق عليه، ولذلك قرر اليهود أن يهاجموا هذه القاعدة[5].

وفي8 أيار سنة 1948م هاجم اليهود مضارب عشيرة أبو ستة في معين وأعادوا الهجوم في 10 و12 من نفس الشهر، ولكن المناضلين ردوهم على أعقابهم وبعد يومين قام اليهود بهجوم كبير اشتركت فيه المصفحات اليهودية، فنسفوا منزل الشيخ حسين أبو ستة، وبيارته والمطحنة، وقد تمكن أبناء عشيرة أبو سته مع الاخوان المسلمين والمناضلين من خان يونس من صدهم ولكن اليهود تمكنوا من احتلال معين وطرد سكانها في 1948/12/22م[6].

([1]) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 432/2.

([2]) عراف، شكري، المواقع الجغرافية في فلسطين، 293.

([3]) الوقائع الفلسطينية، 1590. 24-11-1944

([4]) عراف، شكري، المواقع الجغرافية في فلسطين، 293.

([5]) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 91/2-92.

([6]) عارف، العارف، النكبة، 52/3.

الفصل الثاني

قضاء بئر السبع في العهد العثماني

كانت فلسطين تابعة للمماليك في مصر قبل دخول الجيش العثماني لها، وعندما ساءت العلاقات العثمانية المملوكية وزاد الخلاف والنزاع على إمارة البستان الواقعة شمال سوريا، قرر السلطان سليم الأول العثماني دخول سوريا القضاء على المماليك وضم بلاد الشام للدولة العثمانية، وفي نفس الوقت زحف السلطان المملوكي قانصوة الغوري من مصر إلى فلسطين ومنها إلى سوريا للتصدي السلطان العثماني سليم الأول[1].

التقى الجيشان العثماني والمملوكي في 23 آب 1516م في مرج دابق قرب حلب[2] في الموقع المعروف بتل الفار وقد كان الانتصار في البداية للمماليك إلا أن العثمانيين أعادوا الكرة في القتال[3]، وهزموا الجيش المملوكي، وتوفي السلطان قانصوة الغوري في أثناء المعركة، حيث وقع عن فرسه على الأرض ومات من وقته[4]، ويرجع السبب في انتصار العثمانيين إلى السلاح الناري اليدوي الذي استخدمه العثمانيون، كما أن الخيانة انتشرت في صفوف المماليك، وانتقل خايربك*، إلى جانب العثمانيين في أثناء القتال[5]، وكذلك استخدم العثمانيون البارود والمدافع التي تجرها الخيول[6].

وبعد انتهاء معركة مرج دابق، استسلمت سائر المدن السورية وسرعان ما ألقت القوات المملوكية سلاحها في مواقعها الرئيسية في سوريا وفي فلسطين في كل من صفد ونابلس

---

(1) جبارة، تيسير، تاريخ فلسطين الحديث، 7.

(2) رافق، عبد الكريم، العرب والعثمانيون، 1516–1916، 61.

(3) الدمشقي، محمد، أعلام الوري، 230.

(4) ابن إياس، محمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج5، 72.

* والي حلب وقائد ميسرة الجيش المملوكي، انسحب أثناء المعركة مع القوات التي تحت إمرته، وأشاع هزيمة المماليك، عمر، عبد العزيز، تاريخ المشرق العربي 1516–1922م، 76.

(5) رأفت، عبد الكريم، العرب والعثمانيون، 1516–1916م، 61.

(6) حتى، فيليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، 298/2.

والقدس وغزة[1]. وفي خان يونس وقعت معركة بين المماليك بقيادة جان بردى الغزالي والي حماة والعثمانيين بقيادة الوزير سنان باشا، انتصر فيها العثمانيون وفر الغزالي إلى مصر وفي هذه المعركة قام البدو وساعدوا العثمانيين ضد المماليك[2].

وبعد ذلك عبر السلطان سليم الأول سيناء مع جيشه متجهاً إلى مصر بعد أن أعلن الأمان لسكان المدن والقرى على اعتبار أنه ذاهب لقتال المماليك فقط، ودار قتال عنيف بين المماليك والعثمانيين في معركة الريدانية عام 1517م التي هزم المماليك فيها، وقتل عدد كبير من المماليك بهذه المعركة بسبب استخدام العثمانيين الأسلحة النارية (بندق الرصاص)[3]، وحاول طومان باي بعد هذه الهزيمة اتباع سياسة المناوشة في قتال العثمانيين إلا أن العثمانيين قبضوا عليه وأعدموه[4]. ثم دخل السلطان سليم القاهرة بمراسم هائلة[5]، وأمامه جنوده تنادى الناس بالأمان والاطمئنان[6].

ومما يلاحظ على السيطرة العثمانية على بلاد الشام ومصر أن العثمانيين لم يلقوا مقاومة تذكر في بلاد الشام، لأن المماليك كانوا قلة في الشام، وهرب معظمهم إلى مصر في أعقاب هزيمة مرج دابق 1916م. كما أن الشعب لم يقاوم العثمانيين ويدافع عن المماليك، بسبب ظلمهم بل وقف كالمتفرج وهو يستبدل حاكماً غير عربي بحاكم آخر غير عربي، أما مصر حيث تركز المماليك فقد كانت مقاومة أكبر ضد العثمانيين[7].

دخل الأتراك بئر السبع عام 1519م، ولم يكن لهم حكم مباشر فيها لأنهم كانوا يتجاهلون البدو[8]. كما كانت سيطرتهم على بئر السبع اسميه لا فعليه إذ أن نفوذهم على القبائل العربية كان ضئيلاً وقد كانوا مكتفين بالضريبة المقطوعة التي كان يدفعها لهم شيوخ القبائل وكان

([1]) توما، أميل، فلسطيني في العهد العثماني، 21.

([2]) جبارة، تيسير، تاريخ فلسطين الحديث، 8.

([3]) ابن إياس، محمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج5، 146.

([4]) أينالجيك، خليل، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، 55.

([5]) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، 229/1.

([6]) ابن إياس، محمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج5، 146.

([7]) رافق، عبد الكريم، العرب والعثمانيون، 1516–1916، 63 .

([8]) أبو سمور، حسن، قصة مدينة بئر السبع، 14.

شيوخ القبائل هم الحكام الحقيقيون في ذلك الزمن فكل شيء بأيديهم كما كانوا واسعي النفوذ يروحون ويغدون ويرتحلون أينما طاب لهم، وكانوا يغزون بعضهم بعضاً كلما وجدوا المقدرة والثقة على الحرب، وهكذا وقعت الحروب الأهلية الدامية والغزوات العشائرية[1].

لم يسيطر الأتراك سيطرة فعلية على قبائل بئر السبع إلا عام 1890م عندما قام رستم باشا• القائد التركي المعروف بأبي جريدة بحملة لإخضاع قبائل السبع أثر تفاقم الحروب العشائرية ولا سيما تلك التي وقعت بين قبيلتي العزازمة والترابين[2].

وقد نشبت الحرب بين القبيلتين عام 1887م وجرت بين الفريقين وقائع دامية كان النصر في آثرها حليف الترابين، فخسر العزازمة 124 قتيلاً وألف جمل وعدد كبير من الخيول والغنم، وقد استنجد العزازمة بالتياها، إلا أن عدداً قليلاً من التياها وقف إلى جانبهم. ولم يشأ الفريق الأكبر أن يتدخل في الأمر، وكذلك لم يستطع العزازمة تحويل دفة الحرب لصالحهم بل ظلوا مدحورين أمام خصمهم حتى وصلوا إلى الظاهرية من قرى الخليل وهنالك دارت معركة كبيرة خسر فيها العزازمة عدداً كبيراً من رجالهم[3].

وعلى أثر ذلك اضطر العزازمة إلى اللجوء إلى الحكومة العثمانية للتدخل[4]. وعندما يئس حسن الملطعة شيخ العزازمة من موظفي لواء القدس بسبب تدخل افندية غزة شد الرحال إلى الآستانة. وهنالك رفع شكواه وأخذ يصف ما حل بقبيلته من جراء ظلم جيرانه الترابين عندئذ أرسل رؤوف باشا متصرف لواء القدس رستم باشا للسيطرة على القتال بين العزازمة والترابيين[5].

([1]) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 67/2.

• رستم باشا: قائد تركي لقب بأبي جريدة لأنه كان يستعمل جريدة النخيل للضرب، وقد سعى العربان لأن يعدلوه عن قصده بالرشوة ولم يفلحوا، كما كان يضع طربوشه على المنضدة أمامه، وقبل أن يبطح الشيخ ويضربه يشير إلى الطربوش وبخاطبه "يا طربوش! بدك فلوس وإلا ناموس" ثم يسكت برهة ويقول: (بدي ناموس) أي أنه لا يقبل الرشوة، عارف العارف، تاريخ بئر السبع وقبائها، 192.

([2]) عارف العارف، تاريخ بئر السبع وقبائها، 244.

([3]) نفس المصدر، 191.

([4]) فلاح، غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب 1906–1986، 93.

([5]) عارف العارف، تاريخ بئر السبع وقبائها، 191.

حط رستم باشا رحاله وجنوده في غزة وأخذ يستعمل الشدة والعنف والضغط والإرهاب والسجن والنفي، وهكذا استطاع السيطرة على القبائل المستعصية، كما أقام سنة 1894م مخفراً في قلعة الجهيرة، ورغم هذه السياسة التي اتبعها رستم باشا في اخضاع البدو فقد بقيت بعض العشائر تقاوم الأتراك[1].

وفي عام 1896م تبرع شيخ عشيرة العزازمة الشيخ حسن الملطعة بخيمته لتكون مركزاً للسلطات العسكرية التركية في المنطقة، وهكذا أخذت السلطات التركية تعزز تواجدها في بئر السبع، فقاموا بحفر وتصليح اثنتي عشرة بئراً، وفي عام 1898ن أقيم خان للمسافرين في المنطقة وكان هذا الخان أول بناية حجرية أقيمت في المنطقة[2].

استطاعت الحكومة التركية إيقاف رحى الحرب بين العزازمة والترابين بفضل السياسة التي اتبعتها في إخضاعهم وتمثلت في الشدة والضغط، وقد جرى الصلح في قلعة مليح على الطريق بين غزة وبئر السبع، وذلك بمعرفة الحكومة العثمانية، وقد وقع على صك الصلح الشيخ محمد بن عباد الصوفي عن الترابين والشيخ سليمان بن صالح جنحيدم عن العزازمة. ومن شروط الصلح أن يسترد كل إنسان الأرض التي كانت له قبل نشوب الحرب [3] وبذلك أنهيت الحرب بين الترابين والعزازمة ولم تقم لها قائمة بعد ذلك.

إعادة بناء المدينة وتنظيمها:

يعد تأسيس مدينة بئر السبع في عام 1900، تغييراً جذرياً في السياسة العثمانية، التي أخذت تظهر في العقد الأخير من القرن التاسع عشر، حيث عمت هذه التغيرات أنحاء مناطق نفوذ الامبراطورية العثمانية وأسفرت عن بسط نفوذها على مناطق الأطراف، وإقامة مدن حدود، ونقاط عسكرية في مناطق نائية، أن تأسيس مدينة بئر السبع في تلك المنطقة التي كانت تابعة إدارياً إلى قضاء غزة والتي اعتبرت منذ عام 1516م منطقة طرف جنوبي وهذه المبادرة خطوة مهمة، تهدف إلى سيطرة الحكومة على القبائل البدوية الرحل وشبه الرحل[4]. كما

([1]) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 67/2.

([2]) فلاح، غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب 1906–1986، 93.

([3]) عارف العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 193.

([4]) فلاح، غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب 1906–1986، 91–92.

عمدت السلطات العثمانية للاستفادة من الضرائب التي تذهب هدراً، والأهم من ذلك أراد العثمانيون أن يثبتوا وجودهم بالقرب من التخوم المصرية بسبب المفاوضات التي كانت تجري مع الانجليز حول الحدود مع مصر [1] حيث تم فصل قبائل بئر السبع عن قضاء غزة، وإنشاء قضاء بئر السبع، وتقرر أيضاً تأسيس مدينة بئر السبع لتكون عاصمة هذا القضاء الجديد[2] لذلك قدم توفيق بك أفندي متصرف القدس إلى غزة ثم إلى بئر السبع لتأليف القضاء الجديد في الشمال الشرقي من قضاء غزة وفي الجنوب من قضاء الخليل[3].

لقد تجمعت عدة عوامل لاختيار مدينة بئر السبع في هذا المكان الأثري، ويمكن إجمالها في ما يلي:

1- يقع المكان على مفترق طرق.

2- وهو كذلك على حدود ديار القبائل البدوية.

3- ويقع على نقطقة تقليدية للتجمع البدوي.

4- ويمتاز المكان بطوبغرافية منبسطة تسهل عليه إقامة المدينة.

5- وهو على بعد كبير نسبياً من قضاء غزة[4].

6- تكثر في هذا الموقع المياه العذبة، وعلى الحد الفاصل بين أراضي العزازمة من الجنوب والتياها من الشرق والترابين من الغرب [5].

وقامت الحكومية العثمانية بتعيين أول قائم مقام لإدارة قضاء بئر السبع وهو إسماعيل بك وهو تركي الأصل، فسكن هذا الخيام في بادئ الأمر كي يتقرب من مضارب العشائر وقد زودته الحكومة بمجموعة من الشرطة والدرك تحت إمرة ضابط ألباني اسمه زبير أفندي لأجل

([1]) عارف العارف، تاريخ بئر السبع وقبائها، 31

([2]) فلاح، غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب 1906-1986، 91.

([3]) صحيفة البشير، 2-4-1901م-ع1474.

([4]) فلاح، غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب 1906-1986، 94.

([5]) عارف العارف، تاريخ بئر السبع وقبائها، 244

صون الأمن[1]، ثم تولى إدارة القضاء محمد أفندي جاد الله• حيث قام بتأليف مجلسين واحد للإدارة وآخر للبلدية[2]. وفي عهده صدر أمر من السلطان عبد الحميد بشراء ألفي دونم في قضاء بئر السبع وتوزيعها بلا عوض على ما فيه من عربان[3]. وتم شراء الأراضي من عشيرة العزازمة بريال مجيدي* للدونم الواحد ووهبتها الحكومة إلى البلدية. على أن تعطى البلدية دونماً واحداً في غير عوض، شريطة أن يبني فوقه داراً للسكن ويسكنها، كما أنشئت ثكنة للجنود[4].

لقد قامت الحكومة التركية بتخطيط مدينة بئر السبع، تخطيطاً حديثاً ليلائم حاجات البدو، مثل بناء بيت كبير، وحوله مساحة كافية توفر الراحة والاستقلالية فيه[5].

وقبل بناء المدينة استشارت السلطات التركية أربعة مهندسين معماريين، اثنان منهما يحملان الجنسية التركية تلقوا تعليمهم في ألمانيا، وأما المهندسان الآخران فأحدهما يحمل الجنسية الألمانية والآخر السويسرية، وذلك لغرض رسم المخطط الرئيس للمدينة الجديدة وبالفعل نجح المهندسان المعماريان في عمل مخطط للمدينة الجديدة وسط الصحراء[6].

وقد جاء في كتاب تاريخ بئر السبع وقبائلها أن المهندسين اللذين قاما برسم الخريطة للمدينة هما سعيد أفندي النشاشيبي ومساعده راغب أفندي النشاشيبي[7]. وعلى ما يبدو بأن المهندسين اللذين استشارتهم الحكومة التركية في تخطيط المدينة هم الذين رسموا خريطتها، وأن

---

(1) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 68/2.

• ثم جاء بعد محمد أفندي، جار الله توفيق بيك العصير ثم جاء حمد بك وتبعه توفيق أفندي عبد الهادي فسليم أفندي طهبوب، قاصف بيك الدمشقي، عارف العارف، تاريخ بئر السبع وقبائها، 246.

(2) عارف العارف، تاريخ بئر السبع وقبائها، 245.

(3) صحيفة البشير، 5–11–1901–ع1517.

* مجيدي: ضربت في عهد السلطان العثماني عبد المجيد الثاني سنة 1839م وهي من الفضة الخالصة كان يعادل في البداية 19 قرشاً ثم أصبح عشرين قرشاً، المبيض، سليم، النقود العربية الفلسطينية وسكتها المدنية والجنبية، 232.

(4) عارف العارف، تاريخ بئر السبع وقبائها، 245.

(5) فلاح، غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب 1906–1986، 95.

(6) Biger, Gidenon , Ottoman Town Planning in Late 19th and Early 20th Century Palestine, 27

(7) عارف العارف، تاريخ بئر السبع وقبائها، 245.

المهندسين سعيد أفندي النشاشيبي وراغب أفندي النشاشيبي هما اللذان أشرفا على بناء المدينة عن قرب.

وتطلب مخطط بناء المدينة تصوراً عاماً لنمط بناء مدينة جديدة، والذي كان غريباً على المشهد الطبيعي للمدن في الشرق الأوسط[1].

ففي المرحلة الأولى، تم تخطيط مساحة قدرها 500 دونم، وقسمت المساحة إلى 60 مربع، طول ضلع كل مربع 60 متراً[2] ثم تقسيم كل مربع إلى أربع أجزاء حيث تبلغ كل قطعة حوالي دونم للتوطن والبناء[3]. يفصلها عن بعضها عشرة شوارع متوازية، عرض كل شارع 15 مترا، وهنالك شارع رئيسي واحد عرضه 20 متراً يقسم المدينة إلى قسمين ويتجه من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي حيث يبدأ ببناية السرايا[4].

لم تكن هنالك لوائح قانونية لتقسيم المناطق ولكن كانت أغلب المباني العامة مثل المسجد، مبنى السرايا، مقر الحاكم ومركزي الشرطة والمدرسة الحكومية ومكتب البريد جنباً إلى جنب في الجزء الشمالي الغربي من مدينة بئر السبع الجديدة[5].

بنيت المدينة على طراز حديث بحيث أنها أصبحت بانتظامها واتساع شوارعها لا تضاهيها أي مدينة في فلسطين وسوريا في تلك الفترة فكانت أكثر شبهاً بالمدن الأوروبية والأمريكية منها بالمدن الفلسطينية، ويبدو أن الهدف من تجديدها على هذه الناحية هو نقل البدو من طور البداوة إلى طور الحضارة[6].

أخذت مدينة بئر السبع في التقدم والازدياد، فرأى الأتراك أن يرفعوا درجتها، فجعلوها مركزاً لنائب للمتصرف عبد الكريم بك الذي كان يعمل تحت إمرة متصرف القدس رشيد بك[7].

---

(1) Biger, Gidenon , Ottoman Town Planning in Late 19th and Early 20th Century Palestine, 27

(2) فلاح، غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب 1906–1986، 90.

(3) Abu-Manneh Butfus,Ottoman Refrom and Muslim Regeneration, 194

(4) فلاح، غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب، 1906– 1986، 95.

(5) Biger, Gideon, Ottoman Town Planning in Late 19th and Early 20th Century Palestine,28

(6) طوصح، خليل، جغرافية فلسطين، 96–97.

(7) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 246.

وعندما ضعفت الحكومة التركية في أواخر عهد السلطان عبد الحميد الثاني، عادت وتمردت القبائل على الحكومة التركية[1]، فرأى متصرف القدس أكرم بك بأنه لا بد من الاستناد إلى المشايخ أنفسهم[2].

فبدأ يتقرب إلى القبائل بالهدايا والأوسمة ويقدمها لشيوخ القبائل وقد حرص متصرف القدس على حضور احتفالات القبائل في المناسبات المختلفة فمثلاً كان يغتنم فرصة ختان أبناء مشايخ القبائل، ويشارك في الاحتفالات التي يقيمونها والتي تحولت إلى احتفالاً تعج بالخيول العربية الأصيلة التي نزلت للسباق في الميدان[3].

وحين أجبرت ثورة تركيا الفتاة في عام 1908م السلطان عبد الحميد* على إعلان الدستور[4] أرجعت التشكيلات الأولى في بئر السبع فأصبحت قائممقامية كما كانت من قبل، وعهد إلى آصف أفندي التركي بإدارتها، ثم إلى محمود نديم بيك، فعرفان بك الجابي، فخالد بك، فكامل أفندي البديري فحسام الدين بك، فصادق بك المغربي، وكان هذا آخر قائمقام من الأتراك في بئر السبع، وظلت بئر السبع تحت إدارته حتى احتلها الإنجليز[5].

من الملاحظ أنه توالى على إدارة بئر السبع عدد كبير من القائمي مقامات في عدد قليل من السنوات، وعلى ما يبدو أن السبب يرجع إلى عدم قدرتهم على إدارة شؤون البلاد، وعدم استطاعتهم السيطرة على القبائل البدوية في المنطقة، لضعف الحكومة التركية في تلك الفترة.

([1]) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 247/2.

([2]) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 247.

([3]) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 69/2.

* وفي سنة 1909 بعد 33 سنة من وصوله إلى السلطة أقصى السلطان عبد الحميد عن السلطة بانقلاب قام به مجموعة من ضباط الجيش والمثقفين عرفوا معاً باسم جمعية الاتحاد والترقي أو (الأتراك الشباب). سميث، باميلا، فلسطين والفلسطينيون 1876–1983، 22.

([4]) وافق، عبد الكريم، العرب والعثمانيون 1516–1916، 522.

([5]) عارف العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 248.

السكان:

تمثل القبائل البدوية الأغلبية العظمى من سكان بئر السبع، وتتمثل في هذه القبائل جميع الصفات والمزايا العربية الأصيلة كالكرم والشجاعة والنخوة[1]، وسكان منطقة السبع هم بدو رحل[2]، لذلك بذلت الحكومة التركية جهوداً مكثفة لاستقطاب القيادات البدوية في النقب وتشجيعهم على الإقامة الثابتة في المدينة الجديدة، إذ تستطيع هذه القيادة مراعاة أمور قبائلها، إما من خلال مقرها الثابت في المدينة والذي تحول مع الزمن إلى بيت ضيافة، أو من خلال الاتصال اليومي بمكان الإقامة، وهناك البيت الأول لشيخ العشيرة، والذي ما زال أفراد عائلته يقيمون فيه من هنا يصعب على الباحث الفصل بين فئة المستقرين الدائمين من أبناء البدو، وبين أولئك الذين كانت إقامتهم في المدينة مؤقتة[3].

وقد قدر عدد البدو القاطنين في قضاء بئر السبع عام 1900 حوالي مائة ألف[4] أما سكان مدينة بئر السبع فبعد أن كان لا يتجاوز الثلاثمئة عام 1902م أصبح يقارب الثمانمائة عام 1911م[5]، وفي نهاية الحكم التركي لفلسطين قدر عدد سكان المدينة ب1000 نسمه[6].

كما أجرت الحكومة العثمانية إحصاء لقضاء بئر السبع في عام 1914م، ولم تكن الاحصاءات التي تجريها الحكومة من حين لآخر في الأقطار التابعة لها عملية دقيقة عن جميع قطاعات السكان، بل كانت تجري لغرض معرفة أسماء الأشخاص وشريحة الجيل من الذكور الذين يصلحون للخدمة العسكرية، أو أي عمل آخر حكومي، أو حتى لغرض ضرائبي محض، ولقد حدد إحصاء عام 1914 تعداد بدو النقب 55 ألف نسمه[7].

([1]) الآغا، نبيل، مدائن فلسطين دراسات ومشاهدات، 396.

([2]) طوطح، خليل، جغرافية فلسطين، 13.

([3]) فلاح، غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب، 1906–1986، 94.

([4]) صحيفة البشر، 10–9–1900، ع1453.

([5])عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 32.

([6]) فؤاد، علي، كيف غزونا مصر، 105.

([7]) فلاح، غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب 1906–1986، 45.

ولم يكن سكان قضاء بئر السبع يزيدون في أية فترة من فترات التاريخ على 100 ألف نسمة[1].

اتبعت الحكومة التركية عدة أساليب لتشجيع البدو على الاستقرار في المدينة من خلال تقديم خدمات إدارية وقضائية للبدو بوساطة شيوخهم فلقد أسست الحكومة مجلسين:ــ مجلس لإدارة القضاء وعين فيه خمسة من شيوخ القبائل الكبيرة وهم الترابين والحناجرة، والعزازمة والجبارات والتياهات، ومجلس للبلدية الذي ضم خمسة شيوخ، وقد عين الشيخ علي العطاونة رئيساً للبلدية وبقي حتى وفاته سنة 1922م[2].

ساهمت هذه السياسة التي اتبعتها الحكومة العثمانية استقطاب السكان إلى بئر السبع، وإلى قدوم بعض التجار إلى المدينة وكان أغليهم من مدينة غزة والخليل والقدس والمجدل وغيرها من المدن والقرى المجاورة، وأخذ هؤلاء يتاجرون مع القبائل في بئر السبع بالحبوب والسمن والجبن والحيوانات والصوف ويبيعونها مقابل ذلك البضائع المختلفة والأقمشة اللازمة، وهكذا أصبحت بئر السبع من المدن الشهيرة والمهمة في جنوب فلسطين[3].

كذلك بدأ التسلل الصهيوني إلى المنطقة عام 1912، عندما وصلت مجموعة من الشباب اليهودي إلى نقطة شمال غرب جبل الحثيرة، وأقاموا مستوطنة صغيرة أطلقوا عليها اسم (روحاة) إلا ان هذه المستوطنة، لم تصمد أمام قسوة الطبيعة وندرة الأمطار، فانتقلت إلى مكان مجاور لقمة قرية الجمامة عند الحدود الشمالية للقضاء عام 1913م[4].

النشاط الاقتصادي:

1- الزراعة:

استخدمت الزراعة منذ أقدم العصور لغايتين: لتطمئن الشعوب على معيشتها بارتباطها بالأرض، ولتحويل السهول التي لا تصلح للرعي إلى أراضٍ منتجة، ومنذ الفتح الإسلامي

([1]) عيد، صبحي، جغرافية الاستيطان الصهيوني في منطقة النجب، 5.

([2]) فلاح، غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب 1906–1986، 97.

([3]) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 14/1.

([4]) صايغ، أنيس، بلدانية فلسطين المحتلة، 67.

لفلسطين شجع حكام البلاد القبائل العربية التي رافقت الفتح على الاستقرار في الأرض وزراعتها[1].

وكانت القبائل البدوية في قضاء بئر السبع لا تعبأ بالأرض قط وكانوا يحتقرون كل ما له صلة بالأرض من زراعة وفلاحة إذ أنهم كانوا يرون في ذلك إقعاداً لهم عن المشي والحركة والغزو[2].

لكن بعض البدو بدأوا بالاهتمام بالزراعة في بداية القرن العشرين بعد أن استقروا في المدينة[3]، أما طريقة الزراعة المألوفة بين البدو فكانت يسيرة جداً، وهي نفس الطريقة التي ألقوها منذ القدم محراث بسيط لا ينزل في عمق الأرض إلا قليلاً، ولم يكن لهم ماكنات للحرث والحصاد والدرس[4].

بلغت مساحة الأراضي القابلة للزراعة في العهد العثماني 20.000 كم^2 من مساحة القضاء وهي عبارة عن أرض سهلية قاحلة يزرعها البدو، وينتقلون فيها إنتاجاً للكلأ، ولكن في الشمال والشمال الغربي سهول فسيحة[5]، صالحة للزراعة وذلك باستثناء بعض قيعان الأودية التي تزرع فيها أجزاء متفرقة، وتبلغ مساحة الأراضي القابلة للزراعة في هذا القسم حوالي 1.640.000 دونم[6].

قدرت الأراضي المزروعة بالحبوب مثل القمح والشعير بنحو 150 ألف–200 ألف دونم في آواخر العهد العثماني وفي المنطقة الممتدة بين غزة وشمال بئر السبع [7].

([1]) الحسيني، محمد، التطور الاجتماعي والاقتصادي في فلسطين العربية، 108–109.

([2]) عارف العارف، القضاء بين البدو، 235.

([3]) أبو سمور، حسن، قصة مدينة بئر السبع، 46.

([4]) عارف العارف، القضاء بين البدو، 236.

([5]) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 125/1.

([6]) الحسيني، محمد، التطور الاجتماعي والاقتصادي في فلسطين العربية، 90.

([7]) مناع، عادل، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700–1918، 190.

ومن أهم المحاصيل التي كانت تزرع في قضاء بئر السبع في هذه الفترة الشعير، والقمح، والذرة، والعدس والفول[1].

وأكثر هذه المحاصيل انتاجاً كان الشعير، حيث اشتهر قضاء بئر السبع بإنتاجه وتصدير كميات طائلة منه عن طريق غزة إلى أسواق العالم التجارية ولا سيما إلى بريطانيا حيث يستعمل لصنع البيرة وطعام الحيوانات[2].

كما ذكر صاحب جغرافية فلسطين: (أن البواخر التي ألقت مراسيها في بحر غزة سنة 1906م كانت 35 هذه جاءت في موسم تلك السنة فاغرة أفواهها ولم تلبث أن امتلأت وعادت أدراجها وكنت ترى في ميناء غزة في كل يوم عدداً من البواخر وملحقاتها مما يشبه أسطولاً صغيراً، ونذكر أن الصادر في تلك السنة بلغ ما يقرب من مليوني كيلو شعير)[3]، ويقدر ما يصلح منه للتصدير في السنين الخصبة بعشرين ألف طن، ويرجع السبب ولا شك في العجز عن زيادة انتاج الأرض إلى قلة المياه من جهة وقلة مقدار المطر من جهة أخرى[4].

هذا وقد مرت عدد من سنين المحل على قضاء بئر السبع في أواخر العهد العثماني ففي عام 1913م اضطر البدو لاستيراد كمية كبيرة من الذرة من مصر ليدفعوا بها عنهم شر الجوع، ويسمونها سنة (الدمجلية) أما سنة 1914م فكانت سنة خصاب، إلا أن عادت الأرض وأمحلت في العام التالي 1915م والقليل من الزرع الذي نبت أكله الجراد وقد رحل قسم من عربان القضاء إلى الكرك والطفيلة لأن زرعهم لم ينبت في هذه السنة، أما في سنة 1917م وهي سنة الاحتلال الانجليزي فكانت خصاباً تاماً[5].

---

(1) أبو حجر، آمنة، موسوعة المدن والقرى الفلسطينية، 172.

(2) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 336/2.

(3) طوطح، خليل، 35.

(4) الحسيني، محمد، التطور الاجتماعي والاقتصادي في فلسطين العربية، 97.

(5) عارف العارف، القضاء بين البدو، 220.

2- التجارة:

يزاول السكان في فلسطين منذ القديم التجارة بنوعيها الداخلية والخارجية ويتعاطون بيع السلع وشرائها بقصد الربح، وقد راجت تجارة فلسطين الخارجية لوقوعها على الطرق التجارية في العالم القديم بين آسيا وأفريقيا[1]. وكانت بئر السبع مركزاً للقوافل التجارية في الفترات التاريخية المختلفة[2].

وقد نشطت حركة الاستيراد والتصدير في أواخر العهد العثماني وكانت يافا وغزة هي المراكز التي تمر بها تجارة البلاد الخارجية[3].

وقد أورد صاحب كتاب القضاء بين البدو قصة تبين حجم صادرات فلسطين من الشعير الذي يزرع في قضاء بئر السبع حيث قال: "حدثني كثيرون من عربان هذه البلاد وتجارها أنه في سنة من السنين الفائتة قبل ثلاثين سنة تقريباً، شحن من ميناء غزة أكثر من عشرين سفينة محملة كلها بالشعير أو أنه بعد أن شحنت الكميات المطلوبة في الأسواق الخارجية بقي هناك أكوام كثيرة، وأن هذه ظلت مكدسة على شاطئ البحر إلى حين"[4].

وفي السنوات الأولى لتأسيس بئر السبع، خزن البدو الحبوب في البيوت لبيعها إلى تجار المدن المجاورة، الذين كانوا يأتون لشرائها، ولا شك بأن وجود السوق المنتظم في المدينة، كانت لها أهمية في تشجيع الحركة التجارية بين البدو، فبدل السفر إلى سوق الخليل وغزة وخانيونس أصبحت المدينة الجديدة مركز هاماً للتبادل التجاري[5]، وفي نفس الوقت سكن المدينة عدد من تجار غزة والمجدل والخليل والقدس وغير ذلك من البلدان المجاورة، وأخذوا يتاجرون مع الأعراب بالحبوب والسمن والحيوانات ويبيعونهم البضائع والأقمشة مقابل ذلك[6].

([1]) الحسيني، محمد، التطور الاجتماعي والاقتصادي في فلسطين العربية، 142-143.

([2]) أبو سمور، حسن، قصة مدينة بئر السبع، 46.

([3]) الحسيني، محمد، التطور الاجتماعي والاقتصادي في فلسطين العربية، 144.

([4]) عارف العارف، القضاء بين البدو، 230.

([5]) فلاح، غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب، 1906-1986،

(6) طوطح، خليل، جغرافية فلسطين، 97.

كما كان الملح مورداً من موارد الثروة في هذه الديار، حيث كان البدو يستوردونه من سيناء ومن جبل أصدم*، وينقلونه على جمالهم فيبيعونه في غزة والرملة ونابلس والناصرة وسائر المدن الفلسطينية، حتى أنهم كانوا يصلون إلى حوران ومدنها وقراها، وفي سني المحل كانوا لا يبيعونه لا بالنقد ولكن بالتبادل العيني فيأخذون بدلاً منه قمحاً أو شعيراً او ما يحتاجون إليه من الحبوب والمواد الأخرى، وكان الحمل من الملح يساوي حملاً من الحبوب بالتمام، وبذلك كان البدو يتمكنون من درء خطر المحل الذي كان يهددهم في بعض الأحيان[1].

أما بالنسبة للحيوانات التي كانت تربى في القضاء:

أ- الأبل: فقد كانت الحاجة ماسة إلى اقتناء الجمال لاستخدامها في الحراثة ونقل البضائع، لذلك كان الجمل مطلوباً وكان سعره يتراوح بين 20-25 جنيه، كما أنه وصل في الحرب العالمية الأولى إلى الخمسين والثمانين حتى وصل إلى المئة جنيه، والسبب في ذلك يعود لاستخدامه في الحرب.

ب-الأغنام: قدر عددها بأكثر من مئة ألف رأس من الغنم، حيث كان التجار يفدون إلى بئر السبع من كل حدب وصوب لابتياع الأغنام.

ت-الخيل: كان للخيل ولا سيما الأصيل منها، شان كبير في قضاء بئر السبع، إذ أن البدو يعتقدون إن ظهور الخيل عز فتراهم يتفاخرون باقتنائها ويتسابقون إلى تدريبها والإكثار منها، لذلك كانت أسعار الخيل عالية تبلغ ما يعادل 200 جنيه[2].

كانت هذه تباع الحيوانات في سوق الحلال الذي كان يعقد يوم إثنين من كل أسبوع[3].

---

* يقع على شاطئ البحر الميت من الجهة الغربية في الجنوب الفلسطيني، ويرتفع 240م عن سطح البحر الميت، أي 160م تحت سطح البحر، ويتكون الجبل بشكل رئيسي من الملح الصخري، وقد بلغت كمية الملح المنتجة منه عام 1946م بـــ 1571 طناً، المرعشلي، أحمد، الموسوعة الفلسطينية، 232/4.

(1) عارف العارف، القضاء بين البدو، 226.

(2) نفس المصدر، 227.

(3) أبو حجر، أمنة، موسوعة المدن والقرى الفلسطينية، 173.

كما تاجر البدو في التبغ والذي كانت زراعته منتشرة في شمال قضاء بئر السبع[1] وكان منه نوعان منه هو الهيشي والشامي[2].

وللمرأة دور في التجارة بحيث أن بيع الدجاج والبيض واللبن من اختصاصها، ويعتبر الرجل بيع هذه الأشياء من قبله إهانة لا تحتمل، واما بيع الحبوب والأسلحة والملح والحيوانات وما إلى ذلك فإنه من اختصاص الرجل[3].

أما الصناعة في قضاء بئر السبع فكانت عبارة عن صناعات خفيفة لتلبية حاجات البدو بالدرجة الأولى، حيث كانت تتمثل في الصناعات الصوفية وصناعة الألبان، والجبن، والبسط ونسيج بيوت الشعر، وبعض المنتوجات الخفيفة الأخرى[4].

3- الرعي:

تعتبر الثروة الحيوانية من أهم القطاعات الاقتصادية في حياة الإنسان البدوي، اعتمد على تربية الماشية منذ قرون عديدة في مأكله وملبسه وتنقلاته [5].

لقد كانت تربية الماشية، الحرفة الرئيسة للبدو في الصحراء الفلسطينية حتى تأسيس مدينة بئر السبع عام 1900م عندما أصبحت عاصمة قضاء بئر السبع، تابعة للحكومة التركية، حيث أخذ بعض سكان القضاء يهتم بالزراعة أكثر[6].

وأهم الحيوانات التي يربيها السكان هي الجمال والغنم والبقر والخيول وغيرها من الحيوانات، فبالجمال كانوا يحرثون أراضيهم ويدرسون حاصلاتهم ويحملون أحمالهم عليها أيام الرحيل،

([1]) النحال، محمد، فلسطين أرض وتاريخ، 101.

([2]) عارف العارف، القضاء بين البدو، 227.

([3]) نفس المصدر، 233.

([4]) أبو سمور، حسن، قصة مدينة بئر السبع، 58.

([5]) فلاح، غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب، 1906–1986، 150.

([6]) أبو سمور، حسن، قصة مدينة بئر السبع، 54–55.

وعليها يحملون إنتاج أراضيهم إلى المدن والقرى الفلسطينية[1]. ومن الغنم بياضها وسمارها يأخذون اللبن والزبدة والسمن ونسيج حبالهم وخيامهم فيها[2].

وتتغذى هذه الحيوانات على النباتات التي تنمو بشكل شحيح على القمم والمنحدرات شديدة الميل، لكن تزداد كثافة النبات في المناطق المحيطة بالأودية في القضاء كذلك توجد هذه النباتات على المرتفعات الجبلية ويعتبر نبات العجرم من أكثر الشجيرات انتشاراً في القضاء إلى جانب الرتم والسلى، وتنتشر أنواع أخرى من النباتات وبكثافة أقل مثل الأثل والطرفاء والقيصوم والغضا والشيح واللثين وغيرها من الأعشاب والحشائش التي ترعاها القطعان[3].

ومراعي القبائل داخل إطار متعارف عليه لا تستطيع مواشي القبائل الأخرى الرعي فيها إلا بإذن من القبيلة صاحبة الملك، ولا تنتقل القبيلة في تنقلها وتطوافها عن حدودها إلا في سنيّ الحرب والشدة، وفي أغلب الأحيان تقوم النزاعات على الاماكن التي يتوافر فيها الخصب والماء[4].

ومن المتعارف عليه قلة المراعي في فلسطين، وبأنها لا تكفي لسد حاجة السكان، وهي في الأغلب منحدرات الجبال والأراضي المهملة والفصول الملائمة للرعي هي أشهر الربيع، وفي فصل الصيف الجاف الذي يمتد إلى ستة أشهر كل سنة لا تبقى مراعٍ طبيعية للمواشي، وعندما يقل المطر ويسود الجفاف يلحق المواشي الضرر وينتابها الجوع[5].

التطور العمراني:

تميزت مدينة بئر السبع بعدد من المباني العامة التي أنشأتها الدولة العثمانية في المدينة ومن اهمها:

---

(1) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 17/1.

(2) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 127/1.

(3) البلوشي، علي، جيومورفولوجية حافة رأس النقب، 44.

(4) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 23/1.

(5) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 127/1.

1- دار الحكومة (السرايا): بنيت عام 1903م زمن متصرف القدس توفيق بيك الذي أمر بجمع إعانة من أبناء بئر السبع لبناء دار الحكومة والسجن في قضاء بئر السبع فبلغ مجموع الإعانة ألفي ليرة عثمانية، وقد كتب إلى وزارة المالية في اسطنبول يستأذنها في انفاق هذا المبلغ لبناء دار الحكومة فرخص له بذلك[1].

ويعتبر مبنى السرايا أول المباني وأهمها التي تم إنشائها في بئر السبع في العهد العثماني، واختير الموقع على أعلى نقطة من المدينة. وعلى تقاطع شبكة شوارع المدينة خلافاً لجميع المباني الأخرى في المدينة فقد شيد المبنى بتأنٍ دون النظر إلى المخطط العام للمدينة، وقد لتجاوز المساحة المخصصة له ويتألف المبنى من طابقين وامتاز بارتفاعه الطولي، وشيد المبنى بالحجارة المنحوتة والمتنوعة الأشكال، كانت نوافذه الواسعة والمحكمة الصنع وواجهته المتطورة تثري المشهد الطبيعي المحلي مع ذوق من العمارة الأوروبية المعاصرة، وضم المبنى خلال السنوات الأولى من إنشائه مكتب القائم مقام، ومركز الشرطة، والمحكمة، وفيما بعد أنشئت المحكمة القبلية[2]. وبعد تشييد دار الحكومة تدفق السكان المحليون إلى هذا المبنى لتسجيل أنفسهم وللاستقرار حوله[3].

2- منزل القائم مقام: بني في عام 1904م مقابل السرايا، خصص أصلاً ليكون قاعة للمدينة، بني من طبقتين وسقف بالقرميد الأحمر، الذي أصبح يميز المباني الرسمية في المدينة.

3- مركز الشرطة ومكتب البريد ومحطة الغرف: تمثل هذه المباني الثلاثة ثلاث وكالات تابعة للدولة العثمانية، تم إنشائها خلف مبنى السرايا، وقد امتازت المباني بأنها بسيطة معمارياً إلى حد ما، ولكنها كانت منشآت فعالة وظيفياً، إلا أنها أضافت مكانة رفيعة إلى السرايا الحكومية في بئر السبع[4]. حيث شكلت هذه المباني مجموعة عنقودية من المباني الرسمية في الشمال الغربي للمدينة[5].

---

(1) صحيفة البشير، 9-7-1900، ع1444.

(2) Abu-Manneh, Butrus,Ottoman Refrom and Mushlim Regeneration, 196

(3) Zeynep-Celik, Empire, Architecture, and the City French-Ottoman Encounters 1830-1914, 114

(4) Abu-Manneh, Butrus, Ottoman Refrom and Mushlim Regeneration, 196

(5) Zeynep-Celik, Empire, Architecture, and the City French-Ottoman Encounters 1830-1914, 114

4- المدرسة الحكومية: وهي أكبر مدرسة أميرية بفلسطين في تلك الفترة وقد أنشئت خصيصاً لتعليم أبناء البدو مبادئ الزراعة وحملهم على اتخاذ التعليم مهنة لهم[1]. شيدت على نفس منوال السرايا وسقفت أيضاً بالكرميد الأحمر ولها نوافذ كبيرة على كافة الجوانب الأربعة، يطل مدخل المدرسة على الشارع الرئيس، امتازت المدرسة آنذاك بثلاثة أقواس مزينة وبارزة حوالي مترين من واجهة المبنى[2].

5- المسجد: بني عام 1906م عندما طالب السكان المحليين ببناء هذا المسجد[3]، وأنشئ بجوار منزل الحاكم من الجهة الغربية، إلا أن هذا المبنى لا يتطابق مع نمط الشارع، بحيث بني بطريقة مائلة لحاجة تحديد موقع القبلة باتجاه مكة المكرمة[4]. وقد اتى بحجارة المئذنة من خربة الخلصة كونها حجارة أثرية ترجع إلى العهد البيزنطي[5]. وببناء المسجد اكتمل مخطط المدينة[6]. وفي فترة الانتداب البريطاني رمم سطح المسجد بسبب سقوط الأمطار من سقفه على أرضية المسجد[7].

6- حديقة جمال باشا: بدأ العمل فيها عام 1901م، وهذا يدل على أنه اهتم بالحدائق منذ الأيام الأولى لتأسيس المدينة، فغرست بالأشجار أنشئت الحديقة الرئيسية للمدينة جنباً إلى جنب للمبنى الحكومي (السرايا) وكانت مقابل منزل الحاكم، وبحلول الحرب العالمية الأولى كان هنالك حديقة مثيرة للإعجاب إلى حد ما على الرغم من هذه المنطقة الجافة القاحلة، وقد أطلق عليها اسم جمال باشا عليها الوالي العثماني في سوريا[8]، وعلى ما يبدو أن السكان المحليين طلبوا أن يطلق اسم الوالي جمال باشا عليها[9].

---

(1) طوطح، خليل، جغرافية فلسطين، 98.

(2) Abu-Manneh, Butrus,Ottoman Refrom and Muslim Regeneration, 195

(3) Zeynep-Celik, Empire, Architecture, and the City French-Ottoman Encounters 1830-1914, 114

(4) Abu-Manneh, Butrus, Ottoman Refrom and Muslim Regeneration, 195

(5) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 248.

(6) Zeynep-Celik, Empire, Architecture, and the City French-Ottoman Encounters 1830-1914, 114

(7) صحيفة الصراط المستقيم، 4-1-1934-ع816.

(8) Abu-Manneh, Butrus,Ottoman Refrom and Muslim Regeneration, 195

(9) Zeynep-Celik,Empire, Architecture, and the City French-Ottoman Encounters 1830-1914, 115

أنشئت معظم هذه المشاريع العمرانية في بئر السبع زمن أصف بيك الدمشقي قائم مقام بئر السبع عام 1904–1906م، إذ قد زادت بئر السبع في حكمه عمراناً ورونقاً[1].

وقد زاد اهتمام الأتراك ببئر السبع في مطلع الحرب العالمية الأولى، إذ اتخذوها مركزاً حربياً مهماً للحملات التي وجهوها نحوه قناة السويس، فأضافوا إليها كثيراً من الأبنية وأضاءوها بالكهرباء وأنشأوا المخازن في محطة السكة الحديدية التي جعلوها تمر من السبع والعوجا لتصل الحدود المصرية[2].

قضاء بئر السبع في بداية الحرب العالمية الأولى

أعلنت الدولة العثمانية في 4 تشرين الثاني سنة 1914م دخول الحرب إلى جانب ألمانيا ضد دول الحلفاء[3]. ولذلك أمرت الحكومة العثمانية بالنفير العام (سفر برلك) وجمعت كافة جنودها المدربين وساقتهم إلى ساحة الحرب وسلمتهم الأسلحة وأخذت بتدريبهم على الأسلوب العسكري الألماني، وشكلت لجاناً لجمع التكاليف الحربية وأمرت بجمع ما يلزم الحكومة ويوجد عند الأهالي من لباس ومأكل ومشرب وحيوانات ركوب أو عربات نقل[4].

وبدخول الدولة العثمانية الحرب أنجرت جميع المناطق العربية عام 1914 للحرب العالمية التي كانت تستهدف إعادة تقسيم العالم ومناطق النفوذ، وكان الكفاح من أجل السيطرة على البلاد العربية عاملاً من عوامل هذه الحرب، إذ أرادت المانيا أن تثبت أقدامها في الممتلكات العثمانية لتهديد المواقع الانجليزية في الشرق الأدنى، وطمعت فرنسا في اقتطاع سوريا وكيلكيا من العثمانيين. أما بريطانيا فكانت تنوي الاستيلاء على العراق وفلسطين وتثبت أقدامها كلياً في مصر[5].

([1]) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 248.

([2]) المصدر نفسه، 33.

([3]) ياسين، نمر، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، 160.

([4]) البرغوثي، عمر، تاريخ فلسطين، 245.

([5]) لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، 436.

وفي 1914/8/2م أعلنت الدولة العثمانية التعبئة العامة بقصد مهاجمة قناة السويس، وعينت لذلك جمال باشا• الذي كان قائداً عاماً على الحملة المتوجهة للقناة [1]. كان الهدف من مهاجمة مصر إشغال الانجليز وتخفيف الضغط عن مضيق الدردنيل، وكان الأمل قوياً أن تثور مصر ومن ورائها السودان بمجرد اقتراب الجيش العثماني من الحدود أو عبور قناة السويس[2] أخذت كتائب الأتراك تتجمع في بئر السبع في الأسبوع الأخير من شهر كانون الأول لسنة 1914م[3].

هذا وأسهل الطرق وأقربها إلى مصر من سوريا طريق الساحل المشهور وأول موضع في هذه الطريق يصلح أن يحشد فيه الجيوش بعد الدخول في سيناء مدينة العريش لكثرة مائها، ولكن لم يكن في وسع جمال تسيير الجيوش بهذه الطريقة لأن الطريق والمدينة معرضتان لبوارج الحلفاء، فكان لا بد له من اتخاذ طريق داخلية بعيدة عن مرمى القنابل فاتخذ طريق القدس إلى بئر السبع واتخذ من هذه المدينة مركزاً للحملة على قناة السويس[4].

وكانت الأوامر الصادرة لتأسيس مخازن للأرزاق في كل منطقة بفلسطين وجعلوا المخزن العام في بئر السبع فكان لا يخلو مركز عسكري من الأرزاق ثم توسعوا فأنشأوها في الصحراء ونشروها في شمال البلاد إلى القرب من قناة السويس، وقد عجزت الحكومة أن توصل الأرزاق والمعدات الحربية بالجمال إلى الجند في وقت الحاجة فامرت بإنشاء طريق وجمعت ضعفاء الجنود وكبار السن الذين لم يتدربوا على حمل السلاح، كما أطلق سراح

• جمال باشا: هو أحمد جمال باشا ولد عام 1290هـ في إستانبول هو ضابط في الجيش العثماني انضم إلى اللجنة السرية الاتحاد الترقي، أصبح عضواً في الإدارة العسكرية ثم حاكماً إدارياً لإحدى الولايات ثم تقلد منصب قوى الأمن في استانيول ثم وزارة الأشغال العامة وحينما نشبت الحرب العالمية الأولى كان جمال أحد المشاهير من الرجال ذوي النفوذ، وبعد المحاولة الفاشلة لمهاجمة قناة السويس عين حاكماً لسوريا، ثم خدم الدولة بعد الحرب حتى اغتيل من قبل المتعصبين الأرمن، حسون علي، تاريخ الدولة العثمانية، 286.

(1) الديراوي، عمر، الحرب العالمية الأولى، 232.

(2) عارف العارف، تاريخ غزة، 217.

(3) حسون، علي، تاريخ الدولة العثمانية، 286.

(4) شقير، نعوم بك، تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها، 634.

سجناء القدس وشكلت منهم طوابير وجهزتهم بالأدوات والآلات، وجعلت بعضهم لتعبيد الطرق للعربات وبعضهم لمد سكة الحديد[1].

الحملة العسكرية العثمانية على قناة السويس

بدأ الأتراك يحثون القبائل في بئر السبع للتطوع متقربين لهم على أنهم أبناء دين واحد، ودفاعهم هذا عن الدين وعن الأرض فسرعان ما لبوا النداء وتطوع منهم 1500 رجل بين فارس وهجان اشتركوا جميهم بالحرب التي كانت تسمى الترعة[2]. وقد كان من شروط هذا الاشتراك في المعركة أن يتقدم البدوي بنفسه ودابته، وأن تزوده الحكومة بكل معدات القتال كالبندقية والسيف والطعام والعلف إلى دابته، وقام ممتاز بك أحد رجال الجيش التركي ومرافقه أنور باشا بحثهم وتحريضهم وتنظيم صفوفهم للقتال، وقد انتظم المتطوعون البدو في أربع فرق فرقة الترابين والحناجرة وفرقة العزازمة وفرقة التياها وفرقة الجبارات وعين على كل فرقة ضابط من ضباط الحرب المدربين على أنظمة الحرب[3].

تجمعت الفرقة الأولى بالقرب من وادي الحسى، وتجمعت الفرقة الثانية على ضفاف الشلالة، وتجمعت الفرقة الثالثة حول مقام أبي هريرة والفرقة الرابعة في الخلصة [4]. ثم التقى الجميع في خان يونس في غزة وساروا معاً بقيادة ممتاز بيك حتى نزلوا العريش وقيل لهم أن كل ما يغتنمونه في الحرب هو لهم إلا المدافع والرشاشات فإنها للدولة[5].

كما اعدت الدولة العثمانية فيلقاً من الجيش النظامي لمهاجمة قناة السويس بالإضافة إلى المتطوعين من العربان، كان مؤلفاً من فرق المشاة الفرقة 23، 25، 27، وقد بلغ مجموع أفراد هذه القوة 12642 جندياً، مجهزاً بسرية من الهجانة وعدد من المدافع الثقيلة والبنادق

([1]) البرغوثي، عمر، تاريخ فلسطين، 245.

([2]) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 68/2.

([3]) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 250.

([4]) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 68/2.

([5]) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 250.

وكان معهم 968 حصاناً 328 ثوراً لسحب المدافع في الصحراء[1]، كان معظم افراد الجيش الذي جهزه الأتراك مؤلف من الجيش الثامن الذي كان أكثر جنوده من العرب سكان سوريا[2]. كما زودت هذه الحملة بسبعة آلاف بعير، لنقل المؤن والذخيرة، وقطع المدافع التي كانت تسمى أطواباً[3].

تقدم المتطوعون من عربان بئر السبع باتجاه القناة، فمن العريش ساروا إلى المزار، فبئر العبد وفي قطيعة كانت المعركة الأول في 1914/11/15م مع فرقتين الأولى من الهنود والثانية من السودانيين، وبعد معركة لم تدم طويلاً تم القضاء على فرقة الهنود جميعها وتم أسر جميع السودانيين وقد غنم العربان جميع الأسلحة والذخائر والمواد التموينية والإبل والخيول، أما خسائر القبائل فكانت مقتل خمسة رجال[4].

ولم يمض على ذلك يوم أو بعض يوم حتى جاء الجيش النظامي العثماني فسار الكل إلى الرتمة هنالك حطوا رحالهم في موقع يقال له حبوة[5]. وقد وضع جمال باشا خطة هذه الحملة التي كان هدفها مدينة الاسماعيلية على القناة، وكان المفروض ألا ينتبه الإنجليز إلى هذه الخطة، لكي يسهل على القوة الزاحفة إلى الاسماعيلية أن تضرب ضربتها فتقطع اتصال القناة مع الجنوب، لكن جواسيس الانجليز وبعضهم من ضباط الأتراك الذين أغراهم الذهب، أفشوا خبر هذه الخطة إلى مستأجريهم، لذلك عمد الإنجليز إلى تعزيز قوات الاسماعيلية بشكل خاص[6].

هذا وقد حشدت بريطانيا قوات لحماية القناة من خطر العثمانيين وعينت لهذا الغرض اثنين وأربعين كتيبة مشاة وثلاث بطاريات مدفعية من القوات الهندية وبطاريات من المدفعية

([1]) عارف العارف، تاريخ غزة، 218.

([2]) حسون، علي، تاريخ الدولة العثمانية، 290.

([3]) الديراوي، عمر، الحرب العالمية الأولى، 233.

([4]) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 69/2.

([5]) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 252.

([6]) الديراوي، عمر، الحرب العالمية الأولى، 233–234.

المصرية، وقدرت القوة بحوالي 30 ألف جندي وانتشرت على طول القناة السفن الحربية البريطانية والفرنسية[1].

وفي أثناء تقدم الجيش العثماني في سيناء سقطت أمطار غزيرة في المنطقة جعلت الأرض بعد جفافها صلبة مما مكن الجيش التركي من التقدم فوقها من جهة والاطمئنان على توفر المياه بغزارة من جهة أخرى[2].

وحين وصل الأتراك إلى هدفهم، وحاولوا القيام بالهجوم المحدد في ليلة 3 /2/ 1915[3]. أمرهم جمال باشا قائد الحملة بأن تملأ القوارب جنوداً قبل الصبح وتنزل إلى قناة السويس، كما طلب منهم ألا تضرب أي طلقة فنزلت الجنود إلى القوارب ولما أحس الانجليز ذلك بدأوا بضرب المدافع والرشاشات باتجاههم[4].

وكانت المدفعية البريطانية تقذف حممها من بعض قطع الاسطول الذي كان راسياً في البحيرة المرة أمام الاسماعيلية، فصدتهم على أعقابهم بعد أن استشهد عدد كبير منهم وأسر آخرون[5]

دفع ذلك العثمانيين إلى الانسحاب تاركين وراءهم بعض الوحدات التي تعمل على عرقلة تعقب القوات البريطانية وقوات الهجانة المصرية، وظهر جلياً أن بريطانيا تستغل القوات المصرية لوضعها في الخط الأول في المعركة وكأنها من قوات المستعمرات[6]. ولكن لم تتبعهم القوات البريطانية لتقوم بعملية الهجوم المضاد إذ اكتفى الانجليز بانسحاب الأتراك إلى بئر السبع[7]. وارتد الأتراك على اعقابهم وارتد العربان معهم ولم يعد هؤلاء يشتركون في أية حرب في المنطقة بعد تلك الواقعة[8]. وفي6 /2/ 1915م أشيع في القدس أنه ورد تلغراف من

([1]) حسن، إبراهيم، البحر الأحمر في الحرب العالمية الأولى، 161.

([2]) حسون، علي، تاريخ الدولة العثمانية، 290.

([3]) الديراوي، عمر، الحرب العالمية الأولى، 234.

([4]) تمارى، سليم، الحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين، 171.

([5]) عارف العارف، تاريخ غزة، 219.

([6]) يحيى، جلال، المجمل في تاريخ مصر الحديث، 320.

([7]) حسن، إبراهيم، البحر الأحمر في الحرب العالمية الأولى، 161.

([8]) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 252.

ساحة الحرب يقول فيها بأن جنود العثمانيين اجتازوا ترعة السويس واستولوا على الاسماعيلية وبدأ الناس يهنئون بعضهم البعضاً، وفي اليوم التالي ورد تلغراف من جمال باشا في ساحة الحرب يقول فيه بعد أن عرفوا قوات العدو الهائلة ارتدوا عن الترعة ريثما يستكملون المعدات اللازمة[1].

الحملة العسكرية العثمانية الثانية على قناة السويس

لم يكتف الأتراك بهذه الحملة الخاسرة ولكنهم عملوا على تجهيز حملة أخرى أعدوا لها الاستعدادات العسكرية اللازمة وكانت هذه الحملة العسكرية أكبر من سابقتها وعهد الأتراك في هذه المرة إلى قائد الماني يدعى فون كرس بقيادة هذه الحملة[2]. وقد انضم إليه عدد من الضباط الألمان والنمساويين ممن كانوا في سوريا وانخرطوا في الجيش العثماني فاستقبلهم القائد العام فون كرس وحاشيته بحفاوة وخطب فيهم على محطة الحديد في بئر السبع، ثم ساروا وقد أعد لهم مخيماً فاخراً فكانوا ينامون على سرر ويأكلون أطيب الطعام واستطالوا على الأتراك واحتقروهم فأسس الأتراك جمعية في بئر السبع غايتها مقاومة النفوذ الألماني فكبحوا جماحهم وخففوا من غلوائهم[3].

بدأ الأتراك في الاستعداد للحملة الثانية على قناة السويس فقد عبدوا الطرق من وإلى بئر السبع، وقد انتهوا من تعبيد القسم الواقع بين بئر السبع وبئر الحسنة في شباط عام 1916م، وأما السكة الحديدية فقد وصلت إلى بئر السبع في أيلول عام 1915م، وإلى عسلوج في شباط 1916م ثم إلى القصبة[4] ومدوا الأنابيب في جوف الأرض لنقل الماء وأقاموا الجسور في أنحاء مختلفة[5]. ولم يكن الانجليز غافلين عن هذا الأمر بطبيعة الحال؛ فإن وحدة الهندسة العسكرية في الجيش البريطاني في مصر كانت تعمل على مد سكة حديد يوصل قواتها

---

(1) السكاكيني، خليل، يوميات خليل السكاكيني، 154/2.

(2) حسن، إبراهيم، البحر الأحمر في الحرب العالمية الأولى، 162.

(3) البرغوثي، عمر، تاريخ فلسطين، 245.

(4) عارف العارف، تاريخ غزة، 220.

(5) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 253.

بفلسطين، وكانوا يقدرون أن تمديد هذا الخط سيساعدهم في التقدم نحو فلسطين إذا ما تطورت الحرب [1].

كما زار مصر في أواخر عام 1915م وزير الحربية البريطاني اللورد كيتشز، واستحضر عدداً كبيراً من الفرق الإنجليزية التي كانت في فرنسا والدردنيل والهند فأصبح مجموع الجيش البريطاني في مصر 300ألف عهدت قيادته إلى الجنرال موري، وأما قوة الأتراك التي كانت مرابطة في هذه البلاد من مصر إلى أضنة فلم تتجاوز الأربعين ألفاً[2].

سار فون كرس إلى القناة بقواته وكان الهدف هو التمكن من احتلال منطقة يمكنه منها تخريب القناة وتعطيلها ثم السيطرة عليها وحرمان الانجليز من استخدامها[3]. فسار ليلاً وحملوا على القطيبة، وقد انتصر الأتراك في هذه الحملة وكان ذلك في 23 /2/ 1916م[4].

وقد اثار سقوط القطيبة في يد الأتراك القيادة الانجليزية في مصر فصدر أمر بتعزيز منطقة روماني في سيناء، وكان هو نهاية الخط الحديدي الذي أنشأه الانجليز من مصر باتجاه فلسطين آنذاك[5]. بعد سقوط القطيبة رسم فون كرس خطة للتقدم على روماني وحرمان الإنجليز من الاستفادة من خط سكة الحديد وبدأ في 5 /8/ 1916م بالهجوم عليها بتركيز نيران المدفعية الثقيلة عليها، وسرعان ما وصلت الامدادات الانجليزية إلى روماني وبفضل هذه التعزيزات والإمدادات اضطرت القوات التركية إلى التراجع والانسحاب[6].

وهكذا فشلت الحملات التي وجهها الأتراك لغزو مصر ولم يتحقق لهم وللألمان الحلم بإغلاق قناة السويس ومنع الملاحة فيها، وبفشل الحملة الأخيرة للأتراك بدأ الإنجليز رحلة ثانية من

([1]) الديراوي، عمر، الحرب العالمية الأولى، 462.

([2]) عارف العارف، تاريخ غزة، 220.

([3]) حسن، إبراهيم، البحر الأحمر في الحرب العالمية الأولى، 162.

([4]) عارف العارف، تاريخ غزة، 221.

([5]) الديراوي، عمر، الحرب العالمية الأولى، 462.

([6]) الديراوي، عمر، الحرب العالمية الأولى، 463.

الدفاع إلى الهجوم من قناة السويس إلى فلسطين واسقاط أول المدن الفلسطينية وهي بئر السبع[1].

توجه القوات البريطانية صوب فلسطين

بعد درأ الإنجليز خطر الأتراك عن مصر وقناة السويس عزموا على احتلال فلسطين، وكان ذلك بناء على قرار أصدرته وزارة الحرب البريطانية. وما كاد قائد القوات البريطانية السر أرشبالد موري يتلقى قرار حكومته حتى أبرق إليها طالباً تزويده بفرق أخرى من المشاة والفرسان، ووضع موري جميع القوات الإنجليزية في شرقي قناة السويس تحت إمرة الجنرال تشارلز دويل، وعندما وصل نبأ هذه الاستعدادات للأتراك شعروا بالخطر، وعلى الفور جاء القائد العام أنور باشا من إسطنبول وعقد مجلساً حربياً حضره كل من جمال باشا وفون كرس للتشاور. فقرروا تأسيس خط دفاع بين غزة وتل الشريعة وبئر السبع كما قرروا تقوية الجيش الرابع بإضافة كتائب جديدة من المشاة والفرسان[2].

وفي 1916/12/20م صدرت الأوامر القوات الانجليزية باحتلال العريش، ولذلك تقدم الإنجليز والأستراليون، فوجدوا المدينة خالية من الأتراك. لقد انسحب هؤلاء، وأخلوا جميع مواقعهم في سيناء، ومن العريش تقدم الانجليز فاحتلوا رفح في 1917/1/10م ثم احتلوا خان يونس وأصبحوا على مقربة من غزة التي تعتبر نقطة حربية مهمة في جنوب فلسطين[3].

وقد كانت غزة محمية بفصيلة مؤلفة من كتيبتين، كما كانت الكتيبة 16 في تل الشريعة عند السكة الحديدية على مسافة 15 ميلاً من الجنوب الشرقي لغزة، أما الكتيبة الثانية فكانت مقيمة في الجمامة على بعد 11 ميلاً من غزة وكانت ترابط في بئر السبع فرقة من الخيالة[4]. وعندما كانت القوات البريطانية تتقدم شرقاً كان الرسل يبعثون سراً إلى شيوخ القبائل في جنوب فلسطين لإغرائهم بقطع معونتهم عن الأتراك، ومن هؤلاء الكولونيل باركر الذي قام باستدعاء الشيخ فريح أبو مدين وهو من مشايخ بئر السبع إلى مؤتمر عقده في العريش وسلمه

---

(1) حسن، إبراهيم، البحر الأحمر في الحرب العالمية الأولى، 162.

(2) عارف العارف، تاريخ غزة، 221.

(3) الديراوي، عمر، الحرب العالمية الأولى، 465.

(4) أبو النصر، عمر، الهجوم على بئر السبع وغزة، مجلة الحرب العظمى، 4/33.

رسالة بخط الشريف حسين وتوقيعه يدعو فيها جميع العرب لمساعدة القوات البريطانية التي تعمل لتحرير العرب[1].

معركة غزة الأولى

وبعد انسحاب الأتراك من رفح وخان يونس جعلوا خط قتالهم يمتد ما بين غزة وبئر السبع[2]. كما نقل فون كرس مركز قيادته من بئر السبع إلى تل الشريعة ليكون في موضع أقرب إلى مسرح المعركة[3]. وفي 20 /3/ 1917م اتخذ الجنرال دوبل رفح مقراً لقيادته ثم أصدر أوامره للجند بالزحف على غزة في 26 /3/ 1917م وكان مجموع القوة التي اشتركت في هذا الزحف 44 ألف جندي بين مشاة وفرسان[4].

وقد جاء ذلك تنفيذاً لما قررته القيادة البريطانية في مصر المتمثلة في مكماهون* بعد أن تجمعت أمامها عدة اعتبارات دفعتها إلى اتخاذا هذا القرار، ومن هذه الاعتبارات أن الهجوم سيعمل على تحقيق المصالح الفرنسية التي نظمتها اتفاقية سايكس بيكو في وقت تأكد فيه للقيادة البريطانية بشكل عملي الضعف الذي تعاني منه القوات التركية بعد عمليتها الأخيرة في مهاجمة قناة السويس[5].

وفي الساعة الثامنة صباحاً تلقى القائد الألماني فون كرس تقريراً من أحد ضباط الطيران يفيد أن قوات إنجليزية تبلغ نحو كتيبتي مشاة تتقدم إلى غزة، وأن قوة كبيرة من الخيالة نحو ثلاث كتائب اقتحمت الأراضي بين غزة وتل الشريعة، ولديها سيارات مصفحة. وعلى الفور أصدر فون كرس أمراً إلى القوات في غزة بالدفاع عنها مهما حدث حتى آخر رجل[6]. وضع

---

(1) أنطيوس، جورج يقظة العرب، 326–327.

(2) الديراوي، عمر، الحرب العالمية الأولى، 466.

(3) أبو النصر، عمر، الهجوم على بئر السبع وغزة، مجلة الحرب العظمى، 4/33.

(4) عارف العارف، تاريخ غزة، 224.

* مكماهون: السير هنري مكماهون كان سكرتيراً سياسياً لحكومة سملا في الهند وعندما أعلنت بريطانيا الحرب على تركيا في 18 كانون أول لعام 1914 عينته مندوباً سامياً في مصر، وكانت مهمته أن يحشد جميع موارد البلاد ليس للدفاع عن جبهة صحراء سيناء فحسب بل لشن هجوم على تركيا، بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، 721.

(5) صبري، بهجت، فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى 1914–1920م، 139.

(6) أبو النصر، عمر، الهجوم على بئر السبع وغزة، مجلة الحرب العظمى، 4/33.

الجنرال تشارلز ويلي خطة للهجوم على أن تتم في مرحلتين الأولى تقوم باحتلال وادي غزة والثانية تقوم بتطويق المدينة ومنع حاميتها من إمكانية تلقي إمدادات القوة، إلا أن غلطة وقع فيها دوبل هي التي اضطرت جنوده إلى التراجع عن المناطق التي احتلوها فعلاً بوادي غزة، وذلك أن كتيبة الصحراء هي إحدى الكتائب المهاجمة، تأخرت بضع ساعات قبل أن تنجز مهمتها، فظن دوبل أن الامدادات التركية قد حطمتها، فاغتنم الأتراك هذه الفرصة، وعززوا قوتهم في ذلك الوقت[1].

ولذلك فشل الانجليز في التقدم بسبب تأخر كتيبة الصحراء وبسبب طبيعة الأراضي ونيران المدفعية التركية فارتد الانجليز في 1917/4/19م بعد أن تكبدوا 2085 قتيلاً و4359 جريحاً، وعدداً كبيراً من الأسرى، وخسر الأتراك 1970 رجلاً[2].

معركة غزة الثانية:

انتهت معركة غزة الأولى بانتصار الأتراك، إلا أنها زادت في انتباههم وجعلهم يشعرون بالخطر القادم أكثر من المرة السابقة، فأخذوا يحصنون مواقعهم واستحضروا فرقتين للقتال وهما السابعة والرابعة والخمسون كما أتوا بفرقة ثالثة كانوا قد ادخروها للشدائد فأصبح لديهم قوة مؤلفة من 30 الف محارب، وكذلك فعل الانجليز حيث قاموا باستحضار كتائب جديدة وأضافوها إلى قواتهم كما مدوا السكة الحديدية فأوصلوها إلى دير البلح في 1917/4/5م[3].

وقد مضت ثلاثة أسابيع على معركة غزة الأولى وكلا الجانبين ماضٍ في استعداده بنشاط[4]. وفي 1917/4/17م أعاد موري الكرة على غزة ووادي غزة وكانت الخطة إسقاط الموقعين في ثلاثة أيام، عن طريق القيام بكماشة صاعقة، ففي اليوم الأول تفاجأ الإنجليز بمواقع

---

(1) الديراوي، عمر، الحرب العالمية الأولى، 467.

(2) صبري، بهجت، فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى 1914–1920م، 99.

(3) عارف العارف، تاريخ غزة، 226.

(4) أبو النصر، عمر، الهجوم على بئر السبع وغزة، مجلة الحرب العظمى، 10/33.

الأتراك في الوادي وتخندقهم هناك، وفي اليوم الثاني تقوم قوات عن طريق البحر بتركيز القصف بالمدفعية على غزة والوادي معاً، أما اليوم الثالث فتندفع القوات لاحتلال غزة[1].

وبالفعل بدا الهجوم كما رسم موري خطته في 17 /4/ 1917م فاحتل الانجليز يومئذ التلال الواقعة في الشيخ عباس جنوبي غزة، ونشب قتال شديد بين مشاة الفريقين حتى اضطر الفرسان إلى الترجل، وفي 19 /4 /1917م ظلت المدفعية الانجليزية تقذف بنيرانها غزة من البحر، وما كادت أصوات المدافع تخف حتى شرع المشاة من الفرقة الإنجليزية 53 في احتلال خط ممتد من الشيخ عجلين إلى الشيخ عباس على ثلاثة أميال من غزة، كما أخذت الفرق الانجليزية الأخرى تهاجم غزة من جهات مختلفة[2].

إن موري حين حاول الهجوم مساء 19 نيسان كان يعلم أن مدفعيته لم تنجح إلا في إلحاق أضرار طفيفة بالتحصينات التركية سواء في المنطار بغزة أو في موقع الوادي، ومع هذا حدد أمره بالهجوم، حينذاك فتكت المدفعية الألمانية بقوته، واصطادهم الرماة الأتراك من كل ناحية بالإضافة إلى العطش الذي أنهك طاقتهم[3].

لقد كان موقف الأتراك في هذه المعركة بطولياً للغاية، فقد انتصروا على الانجليز وردوهم على أعقابهم في 1917/4/19م بعد أن كبدوهم خسائر فادحة تبلغ 2085 قتيلاً و4359 جريحاً وعدداً كبيراً من الأسرى، وأما خسائر الأتراك فكانت تقدر بـــ 1970 رجلاً[4].

وعند ذلك تأكد موري من فشل هجومه الثاني، فأصدر أمراً إلى جنوده بالبقاء في مواقعهم والدفاع عنها دون التقدم والدفاع عن الموقع إذا هاجمه العدو[5]. وفي أواخر نيسان كتب الجنرال موري إلى وزارة الحربية البريطانية بأنه لا يستطيع في الوقت الحاضر القيام بأعمال حربية مهمة إلا بعد أن تصل إليه النجدات اللازمة[6].

([1]) الديراوي، عمر، الحرب العالمية الأولى، 468.

([2]) عارف العارف، تاريخ غزة، 227.

([3]) الديراوي، عمر، الحرب العالمية الأولى، 468.

([4]) عارف العارف، تاريخ غزة، 226–227.

([5]) الديراوي، عمر، الحرب العالمية الأولى، 469.

([6]) أبو النصر، عمر، الهجوم على بئر السبع وغزة، مجلة الحرب العظمى، 16/33.

وبسبب هزيمة الانجليز للمرة الثانية على أبواب غزة حدثت تبديلات في القيادة العسكرية الإنجليزية[1]. فاستبدل الجنرال موري باللورد إدموند اللنبي بصفته القائد العام للجيش البريطاني في مصر[2]. وسافر شتوود شارل إلى انجلترا وحل الجنرال شوفل محله في قيادة فرقة الصحراء[3]. ولم يكد إدموند اللنبي يتسلم القيادة في 1917/6/28م حتى ولى شطر مدينة بئر السبع، إذ أدرك أنه لن يتسنى له احتلال غزة إذا لم يحتل بئر السبع قبلها[4].

ساهمت الثورة العربية الكبرى• التي أعلنها الشريف حسين في مكة بقوة في انتصار الانجليز وحلفائهم، لقد تحول الموقف في سيناء بعد الثورة العربية الكبرى، فإن قسماً من الجنود المعدين للهجوم على قناة السويس الذي كان يتكون جزء منه من متطوعي الحجاز والقبائل العربية، تحولوا وأصبحوا يقاتلون في صفوف أعداء الأتراك، وأن عدداً كبيراً من ضباط العرب الذين أسرهم الانجليز من الجيش التركي في حملة قناة السويس الأولى سرعان ما أعلن رغبته في المقاتلة إلى جانب قوات العرب الثائرة[5].

ومثال ذلك ما فعلته بعض قبائل منطقة بئر السبع فقد كانت تقاتل إلى جانب الأتراك في ربيع سنة 1917م وإذا بها بإيماءة من فريح أبو مدين تنقل من موقعها الأول في محاربة الأتراك وتظهر من جديد في ميمنة القوات البريطانية الزاحفة إلى غزة[6]. بالإضافة إلى قبائل بئر السبع فقد شارك عدد كبير من أبناء فلسطين وتطوعوا وسجلوا أسماءهم في مكتب سجل المتطوعين الذي أنشأته القوات البريطانية سنة 1917م[7]. كما شاركت قبائل في شرق الأردن وسوريا وغدا جيش الثورة هو الجناح الأيمن المتقدم من مصر إلى فلسطين بقيادة الجنرال

([1]) أبو النصر، عمر، الهجوم على بئر السبع وغزة، 16/33.

([2]) عارف العارف، تاريخ غزة، 254.

([3]) أبو النصر، عمر، الهجوم على بئر السبع وغزة، مجلة الحرب العظمى، 16/33.

([4]) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 254.

• أطلق شرارتها الشريف حسين في 10 /6/ 1916م فكانت بداية الثورة عندما وقام بإطلاق الرصاصة الأولى للثورة من شرفة داره إيذاناً ببدء العمليات العسكرية ضد الدولة العثمانية، ياسين، نمر، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، 164.

([5]) بويصير، مسعود، جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، 92.

([6]) أنطونيوس، جورج، يقظة العرب، 328.

([7]) الحوت، بيان، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917–1948، 56.

اللنبي، وكان العرب المتطوعون في أثناء ذلك يتدفقون على جيش الثورة والتطوع بدافع نزعتهم الاستقلالية واطمئناناً على عودة الحلفاء[1].

معركة بئر السبع 1917م:

خطة الهجوم

منذ أن استلم الجنرال اللنبي قيادة الجيش البريطاني تم منحه صلاحيات واسعة واعطي كل ما طلبه من أسلحة وذخائر وعتاد، كما قام بمد الأنابيب وجر مياه النيل في الصحراء مسافة 135 ميلاً كما مدت سكة الحديد حتى وصلت إلى دير البلح، وأنشأت لها بعض الفروع من رفح إلى الشلالة[2].

وأخذ يرسم الخطوات العسكرية للهجوم على غزة وبئر السبع في وقت واحد، فإذا استولى على بئر السبع طوق الجناح الأيسر للجيش العثماني في غزة وهجم عليه، وتقرر أيضاً أنه قبل ابتداء الهجوم بأربعة أيام تبدأ المدفعية بضرب المراكز الحصينة التركية في غزة ضرباً قوياً لتدميرها[3].

ولكي يتمكن الإنجليز من خديعة الأتراك ويوهمون القيادة التركية بأنهم سيهاجمون غزة رأساً، أرسلو ضابطاً للاستكشاف فرأته الكشافة التركية وطاردته فرمى أثقاله وفر هارباً، وكان بين أوراق هذا الضابط ما يدل على أن الانجليز سيهاجمون غزة قريباً، وبعض الأوراق النقدية، وقد خُدع الترك بهذه الحيلة فأخذوا يقومون بالتحصينات حول غزة وتركوا بئر السبع وشأنها[4].

لم يكن الأتراك في غفلة تجاه هذا التأهب من الإنجليز، فقد قاموا بتقوية خطوطهم الحربية من غزة إلى بئر السبع، ولا سيما عند تل أبي هريرة في الشريعة وحصنوا مدينة بئر السبع

---

(1) زعيتر، أكرم، القضية الفلسطينية، 49.

(2) عارف العارف، تاريخ غزة، 288.

(3) أبو النصر، عمر، الهجوم على بئر السبع وغزة، مجلة الحرب العظمى، 24/33.

(4) نفس المصدر، 25/33.

تحصيناً متيناً، ولكن اهتمامهم كان من الشمال والغرب ولم يهتموا بالجهة الشرقية. إذ أنهم ما كانوا يتوقعون أي خطر من تلك الجهة[1]. وقد لاحظ الجنرال اللنبي هذه الثغرة في أثناء دراسته للمراكز الشرقية من بئر السبع، فقد كانت هناك ثغرة واسعة بين الاستحكامات في الجهة الشرقية لبئر السبع ولم يكن يزيد طولها عن أربعة أميال فقد كانت كافية لأن يرى فيها الجنرال اللنبي سبيلاً لاقتحام بئر السبع[2].

فإذا تمكن من احتلالها هاجم غزة من الشرق وبعد أن وقع الخطة أصدر الأوامر بمهاجمة بئر السبع على الفور حتى لا يفطن الأتراك إلى الخطة الانجليزية. وكان الأتراك حتى ذلك الوقت يظنون أن الهجوم الأساسي على بئر السبع أمر بعيد الاحتمال، فالطريق إليه معدومة الماء والآبار التي نسفها الألمان، والحصون التي تمتد من غزة إليها صعبة الاقتحام[3].

وكانت المشاكل الرئيسية في الخطة هي المواصلات والمياه ولا توجد طرق بين غزة وبئر السبع ولهذا فستعتمد القوات في تزويدها بالمؤن والمياه على الخيل والجمال وكان يمكن تأمين المياه والذخيرة حتى بئر السبع، أما بعد ذلك فلا بد من إيجاد مصدر آخر، ولهذا كان احتلال المدينة هو الركن الأساسي للخطة[4]. وقد وضعت هذه القوات تحت إمرة قائد الفيلق العشرين شتوود الذي عهد إليه بمهمة احتلال بئر السبع[5].

([1]) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 255.

([2]) أبو النصر، عمر، الهجوم على بئر السبع وغزة، مجلة الحرب العظمى، 25/33.

([3]) نفس المصدر، 27/33.

([4]) العلمي، أحمد، الاجتياح البريطاني لفلسطين 1917–1918، 110.

([5]) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 258.

سير المعركة:

سارع اللبني بالهجوم قبل وصول تعزيزات تركية وألمانية حسنة التدريب وعالية المعنوية من جيش المغاوير من قوات الصاعقة التركية[1].

لذلك بدأ الجيش الانجليزي بزحفه الشامل على بئر السبع في 1917/10/21م فاصطدمت القوات المهاجمة بالقوات التركية المدافعة، ودارت بين الطرفين معارك شديدة في مواضع مختلفة، ورغم المقاومة الشديدة استطاع الجيش الانجليزي الوصول إلى البقار بعد أن تكبدوا خسائر فادحة فوجدوا من الصعب التقدم بنفس الخطة لاحتلال بئر السبع[2]. وهنالك تظاهروا بالتأهب للهجوم على الخط الأساسي من الجهة الغربية، وفيما كان مشاتهم يتقدمون في هذه الجهة وطائراتهم تحلق في السماء[3]. بدأت المدافع الانجليزية في 1917/10/27م تطلق قنابلها على الاستحكامات التركية في غزة، وفي اليوم الثلاثين اشترك الأسطول البحري في ضرب الاستحكامات فيها كما بدأت القنابل تتساقط عليها من الجو[4]. فظن الأتراك بأن الانجليز غيروا خططهم لاحتلال بئر السبع من الجهة الغربية، فسرعان ما حولت قيادة الجيش التركي قواتها إلى الجهة الغربية وحصنوها تحصيناً متيناً بالخنادق والجنود المسلحين بالإضافة إلى الإسناد المدفعي، كما وضعوا الأسلاك الشائكة في الجهة الغربية للمدينة، وبالفعل بدأت القوات البريطانية بمناوشة القوات التركية في الجهة الغربية[5]. في الوقت التي كانت فيه فرقة الفرسان الاستراليين قد احتلت الخلصة وكان هذا في 1917/10/30م وكذلك سقطت عسلوج في نفس اليوم بأيدي القوات المشتركة من الأستراليين والنيوزلانديين الذين واصلوا زحفهم حتى رأس غنام[6].

([1]) شوفاني، إلياس، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي، 351.

([2]) ابو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 71/1.

([3]) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 259.

([4]) أبو النصر، عمر، الهجوم على بئر السبع وغزة، مجلة الحرب العظمى، 28/33.

([5]) ابو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 71/1.

([6]) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 260.

ونتيجة لذلك شعر الأتراك بالخطر مما جعل عصمت بك يغير خطته العسكرية فوضع فوجاً واحداً من الفرسان وفصيلة من الرشاشات على تل السبع، ثم وضع فوجاً آخر من الفرسان على الجبهة الشمالية الشرقية[1]. وأصدر أمراً إلى أسعد بيك قائد فرقة الفرسان الثالثة كي يرابط في الهضاب في هذه الجهة وذلك للحيلولة دون حصار بئر السبع من الشمال[2]. وفي الوقت الذي أخذت هذه القوات مواقعها وصل تقريران إلى عصمت بيك الأول من أسعد بيك والثاني من الطيران الألماني بأن القوة المتقدمة من الشرق والجنوب كبيرة جداً، لذلك أرسل إلى فون كرس فوراً وطلب منه نجدة في أسرع وقت ولكن فون كرس لم يصدق الخبر[3]؛ لأن القنابل في هذه الأوقات كانت تتساقط على غزة من البر والبحر وكذلك اعتقد الألمان والأتراك أن الهجوم سيكون على غزة لا على سواها[4].

وكان يعتقد أن قوة الانجليز المتقدمة لا تتعدى الكتيبة أو الكتيبتين من الفرسان[5]. وفي 1917/10/30م بدأ الهجوم على بئر السبع في الساعة السادسة مساءً[6]. وأخذت القوات الإنجليزية تدك المواقع التركية في كل مكان من بئر السبع فاشتبكت هذه القوات الزاحفة باللواء الثامن والستين وكبدوا هذا اللواء خسائر فادحة مما أضطر عصمت بيك إلى إرسال القوات الاحتياطية إلى الجهة الجنوبية الغربية وهو الفوج الثالث من اللواء الثاني وفي هذه الحالة لم يبق بين مدينة بئر السبع وبين الفرقتين الانجليزية 60و74 سوى فوج الاحتياط من اللواء 67 وفوج آخر من اللواء الثاني[7].

ولكن هذه التدابير لم تجد نفعاً، حيث سقطت تل بئر السبع بيد الإنجليز رغم استماتة الجيش العثماني في سبيل الدفاع عنها، فاضطر قائد الفيلق التركي إلى إصدار أوامره إلى الجنود

([1]) ابو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 72/1.

([2]) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 261.

([3]) ابو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 72/1.

([4]) أبو النصر، عمر، الهجوم على بئر السبع وغزة، مجلة الحرب العظمى، 28/33.

([5]) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 261.

([6]) Aref, Abu Raba',Bedouin Century, 31

([7]) ابو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 72/1.

بالانسحاب إلى شمال المدينة وطلب من فرقة المهندسين المرافقة 27 بأن يخربوا آبار الماء التي فيها، لكن الانجليز تمكنوا من احتلالها قبل أن يقوم المهندسون بالمهمة[1].

كانت الخطة البريطانية تقتضي التحرك السريع لإنجاز الانتصار حتى لا يكون للأتراك وقت لتدمير الآبار التي هي أهم شيء في بئر السبع[2].

استمرت القوات المتقدمة بزحفها اتجاه مدينة بئر السبع من جميع الجهات واشتبكت في أثناء تقدمها ببقية القوات المدافعة ودارت معارك مريرة على جميع الجهات واشتد القتال على أبواب المدينة، وقد تصدت الفرقة السابعة والعشرون وجميعها من أبناء القبائل العربية في بئر السبع للقوات البريطانية ودارت بينهم معارك رهيبة، واستطاعوا أن يردوا هجمة الأعداء بعد أن كبدوهم خسائر فادحة لكن الإنجليز أعادوا تنظيم أنفسهم وهاجموا المدينة مرة ثانية فصمد المدافعون[3]. عندها جاء الانجليز بالمدافع الكبيرة ووجهوها إلى الاستحكامات الأساسية في المدينة، وكان عدد المدافع لا يقل عن مائة مدفع من الطراز الكبير[4]. وكان هذا الاشتباك أشد ضراوة وشراسة، وشددت القوات البريطانية من هجومها على المدينة واستطاعت دحر المدافعين والاستيلاء على المدينة، وهكذا سقطت مدينة بئر السبع جميعها في تمام الساعة السادسة مساءً وكانت أول مدينة يحتلها البريطانيون في فلسطين[5].

ومع كل السرعة التي استعملها الأتراك والألمان في الانسحاب من بئر السبع فقد تركوا وراءهم 500 قتيل و2000 أسير[6]. أما خسائر الجانب البريطاني فكانت 350 قتيلاً و350 مفقوداً و2000 جريح[7].

([1]) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 262.

([2]) العلمي، أحمد، الاجتياح البريطاني لفلسطين 1917–1918، 117.

([3]) ابو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 73/1.

([4]) أبو النصر، عمر، مجلة الحرب العظمى، 28/33.

([5]) ابو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 73/1.

([6]) أبو النصر، عمر، الهجوم على بئر السبع وغزة، مجلة الحرب العظمى، 28/33.

([7]) العلمي، أحمد، الاجتياح البريطاني لفلسطين 1917–1918، 122.

وبعد أن سقطت مدينة بئر السبع بأيدي الانجليز عين الكابتن رجلاس أول حاكم عسكري إنجليزي لإدارة قضاء بئر السبع[1]. ومنذ هذه الفترة دخل قضاء بئر السبع في عهد جديد هو عهد الاحتلال الإنجليزي[2].

وبعد سقوط مدينة بئر السبع توجه الإنجليز إلى خويلفة في صبيحة اليوم التالي، وكان فيها فرقة من الأتراك وفي شمالها فرقتان عهد إليهم حماية الطرق المؤدية إلى غزة، وكذلك هاجم الإنجليز خويلفة جرت هنالك معركة أشد من الحرب التي جرت حول بئر السبع سقط فيها عدد كبير من الإنجليز[3].

واستمر القتال حول الخويلفة في 4 و5 من شهر 11 / 1917م دون ظهور تفوق لأي من الطرفين، وكانت مشكلة توفير الغذاء والمياه والذخيرة مشكلة كبيرة بالنسبة للبريطانيين، وفي اليوم 6 / 11 هاجمت القوات البريطانية تل خويلفة ودارت معارك عنيفة وبعد قتال سقط تل خويلفة بأيدي القوات المهاجمة التي سيطرت على كمية من الأسلحة وأسر بعضاً من الجنود الأتراك[4].

و في اليوم نفسه هاجمت القوات البريطانية خط الدفاع في الشريعة الذي كان تحت قيادة فوزي باشا، وكانت هنالك مقاومة عنيفة ووقع انفجار في مستودعات الذخيرة التركي مما سهل السيطرة على وادي الشريعة في تلك الليلة وتم أسر 600 عسكري تركي، كما استولى البريطانيون على تل الشريعة بصعوبة وما إن أطل يوم السابع من شهر تشرين الثاني حتى كان البريطانيون قد احتلوا تل الشريعة، وبذلك يكون قد سقط قضاء بئر السبع بعد مقاومة عنيفة وشرسة استمرت عدة أيام[5]. وبعد ذلك استمرت القوات البريطانية بالزحف نحو القدس، حيث دخلت تلك القوات الغازية المدينة المقدسة في 1917/12/11م[6].

([1]) Aref, Abu Raba',Bedouin Century, 31

([2]) ابو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 74/1.

([3]) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 226.

([4]) العلمي، أحمد، الاجتياح البريطاني لفلسطين 1917–1918، 125.

([5]) العلمي، أحمد، الاجتياح البريطاني لفلسطين 1917–1918، 126.

([6]) توما، ايميل، فلسطين في العهد العثماني، 164.

الفصل الثالث

قضاء بئر السبع في العهد البريطاني

الإدارة:

انسحبت القوات التركية بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى من فلسطين عام 1917م، وقامت على أثرها حكومة عسكرية بريطانية[1]، وعلى أثر ذلك فرض البريطانيون الحكم العسكري على المناطق التي احتلوها. ومع انتهاء القتال باحتلال بلاد الشام قسمت المنطقة إلى ثلاث إدارات عسكرية عرفت كل منها باسم "إدارة مناطق العدو المحتلة، وقد ضمت الإدارة الجنوبية كامل مساحة فلسطين[2] كان على رأس هذه الإدارة الجنرال اللنبي والسير رونالد ستورس حاكماً للقدس، وظلت فلسطين في أثناء فترة الاحتلال العسكري البريطاني، تخضع لقانون الطوارئ العثماني وذلك بموجب متطلبات القانون الدولي[3].

وفي شهر حزيران عام 1920م تغيرت الإدارة العسكرية وحلت محلها الإدارة المدنية وكان على رأس الإدارة المدنية هربرت صموئيل* مندوباً سامياً ممثلاً لملك بريطانيا على إدارة فلسطين، وأعلن مجلس الحلفاء في الحرب العالمية الأولى في أثناء اجتماع الأعضاء في مؤتمر سان ريمو انتداب بريطانيا على فلسطين في 1920/4/20م[4] وفي 1922/7/24م صادق مجلس عصبة الأمم على صك الانتداب البريطاني على فلسطين[5]، وفي 22 كانون أول 1923م أصبح الانتداب ساري المفعول[6].

---

(1) البرغوثي، عمر، تاريخ فلسطين، 261.

(2) جريس، صبري، تاريخ الصهيونية 1918–1939، 22/2.

(3) حاساسيان، مناويل، الصراع السياسي داخل الحركة السياسية الفلسطينية 1919–1939م، 57.

* هربرت صموئيل: أول مندوب سامي عينته بريطانيا على فلسطين، امتدت أيام حكمه من 1920/7/1–1925/7/31م وهربرت صموئيل يهودي من أقطاب الصهيونية، الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 354/2.

(4) جبارة، تيسير، دراسات في تاريخ فلسطين الحديث، 101.

(5) كتن، هنري، قضية فلسطين، 38.

(6) حاساسيان، مناويل، الصراع السياسي داخل الحركة السياسية الفلسطينية 1919–1939م، 47.

وقسم الانتداب البريطاني فلسطين إلى أربعة ألوية، والألوية إلى 16 قضاء، وكل قضاء مقسم إلى مدن وقرى والأراضي التابعة لها. وبذلك كان الجنوب الفلسطيني لواء وقسم هذا اللواء إلى قضائين:

أ- قضاء غزة ويشمل القرى الساحلية الجنوبية ومساحته 1.113.000 دونم.

ب-قضاء بئر السبع ومساحته 12.577.000 دونم، أي يساوي تقريباً نصف مساحة فلسطين ويمتد من الفالوجة والخليل شمالاً وغزة غرباً إلى أم الرشراش على خليج العقبة جنوباً[1].

وفي عام 1922 قسمت فلسطين إلى أربعة ألوية هي:

1- اللواء الشمالي ومركزه حيفا ويضم أقضية حيفا وعكا والناصرة.

2- لواء السامرة ويتألف من نابلس وبيسان وجنين وطولكرم.

3- لواء القدس ويضم يافا ومركزة القدس.

4- اللواء الجنوبي ومركزه غزة ويضم أقضية غزة والمجدل وبئر السبع والخليل.

أما في عام 1927م فقد قسمت فلسطين إلى ثلاث مناطق وكان قضاء بئر السبع من ضمن اللواء الجنوبي، وفي عام 1938م أعادت سلطة الانتداب البريطاني تقسيم فلسطين إلى أربعة ألوية وكان لواء الجنوب يشمل يافا والرملة وغزة وبئر السبع، وفي عام 1940م حتى نهاية الانتداب قسمت سلطة الانتداب فلسطين إلى ستة ألوية، حيث كان قضاء بئر السبع من ضمن لواء غزة[2].

حاولت الإدارة البريطانية في أثناء حكمها فلسطين التعرف على الحياة البدوية وعلى التقاليد والأعرف البدوية، وإعطاءه شرعية رسمية، وقصدت من وراء ذلك ضبط البدو بطريقة ناجحة وبحكم غير مباشر، لذا أصبحت بئر السبع مركزاً مهماً، وأخذت حكومة الانتداب تنشر أفكارها الغربية ليس فقط عن طريق تأسيس القيادة التقليدية، بل عن طريق التقرب إلى

([1]) أبو ستة، سلمان، النصف المنسي من فلسطين، مجلة الدراسات الفلسطينية، 73/19.

([2]) النحال، محمد، فلسطين أرض وتاريخ، 175-176.

البدو[1]، لذلك زار المندوب السامي هربرت صموئيل مدينة بئر السبع في أواخر عام 1923م ودعا مشايخ قبائل بئر السبع لوليمة غداء[2].

كذلك عملت الإدارة البريطانية على تعزيز مكانة مدينة بئر السبع عن طريق تشغيل قطاعات واسعة من البدو في الأجهزة الإدارية المختلفة في المدينة، الأمر الذي عزز بطبيعة الحال مكانة المدينة لدى سكان الجنوب وشجع الهجرة إليها[3].

حاولت الإدارة البريطانية الاتصال بالبدو عن طريق انتخاب سبعة شيوخ يمثلون العشائر الكبرى، وعينت لكل شيخ منهم شرطيين حارسين ومن بين الشيوخ السبعة كان شيخان من سكان المدينة وهما الشيخ علي العطاونة رئيس البلدية، والشيخ حمد الصوفي. وفي الوقت نفسه ارادت إدارة الانتداب تحويل مهمة الشيوخ، إلى شيوخ يتمتعون بصفة قانونية، يحكمون ويتباحثون في الأمور الاجتماعية والقضائية وبالتنسيق مع الإدارة البريطانية، لذا شكلت المحكمة العشائرية منذ عام 1922م، وعين لها 16 قاضياً من بين الشيوخ، وفي زيارة المندوب السامي هربرت صموئيل بئر السبع في عام 1923م عين في هذه المناسبة قيمة الراتب الذي يتلقاه كل قاضي[4].

ومنذ عام 1933 ازداد عدد القضاة إلى واحد وعشرين قاضياً. كل ثلاثة منهم يؤلفون محكمة. ولهذه المحاكم سلطة في حل المشاكل التي تحال إليها من رئيس المحكمة المركزية أو من القائم مقام وقد كانت أحكام هذه المحاكم تستأنف إلى المحكمة المركزية بالقدس إلا أنها بعد ذلك أصبحت تستأنف في محكمة الاستئناف العشائرية، وهذه مؤلفة من القائم مقام رئيساً ومن عضوين يختارهم القائم مقام من بين أعضاء المحكمة الأصليين الذين لم يبدوا رأياً لهذه القضية، واما قضايا التملك والدعاوى الجنائية فإن النظر فيها كان ينظر إليه في المحكمة

([1]) فلاح، غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب، 1906–1986، 98.

([2]) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 77/2.

([3]) فلاح، غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب، 1906–1986، 99.

([4]) نفس المصدر، 100.

المركزية ومحكمة الجنايات في القدس، بالإضافة لذلك أنشأت إدارة الانتداب محكمة للصلح في المدينة تألفت من قاضٍ واحد[1].

كما سلمت الإدارة البريطانية القيادة البدوية في قضاء بئر السبع ومناصب ووظائف شتى في الجهاز الإداري والأمني الانتدابي، والذي كان مركزه مدينة بئر السبع، واكتسبت القيادة البدوية بالإضافة إلى مهمتها السياسية، فائدة اقتصادية كبرى، فبالإضافة إلى كونها قيادة فأفرادها أيضاً موظفون لدى الإدارة الانتدابية، ففي العقد الأخير من حكم الانتداب البريطاني امتلك معظم الشيوخ البدو أكثر من بيت في مدينة بئر السبع، حيث اشتروا بيوتاً جاهزة، وأجروها إلى البدو وغير البدو، وذلك لزيادة ثرائهم، فالشيخ عبد الله أبو ستة كان له بيت استأجره من الوقف الإسلامي وأجره لأحد سكان المدينة والحاج إبراهيم الصانع واخوانه كان لهم بيت يضم وحدات سكنية، قسم منها مؤجر كبقالة ومطعم وفرن، وكذلك الشيخ فريج أبو مدين من عشيرة الحناجرة الذي امتلك أيضاً داراً كبيرة وفندقاً وبعض الدكاكين[2].

كذلك تم انشاء مجلس بلدي في مدينة بئر السبع كان يتألف من رئيس وخمسة أعضاء* ينتخبهم أهل المدينة من أجل إدارة أعمال البلدية من تنظيف وتنوير وتعمير الطرق وجر المياه وتقديم كافة الخدمات لأهل المدينة[3]، والجدول التالي يبين واردات هذا المجلس ونفقاته خلال عدة سنوات ما بين عامي 1927–1944م[4] حيث لم يكن أرقاماً قبل ذلك:

([1]) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 271.

([2]) فلاح، غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب، 100.

* أسماءهم: الرئيس تاج الدين شعث، الأعضاء: عيسى بسيسو، سعيد بسيسو، يوسف الشرفا، محمد البيطار، وبترو الترزي، نفس المصدر، 268.

([3]) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 268.

([4]) الدباغ، مصطفى، موسوعة بلادنا فلسطين، 355/2.

السنة	الواردات بالجنيهات الفلسطينية	النفقات بالجنيهات الفلسطينية	ملاحظات عامة
1927	1163	1121	–
1935	2447	3038	منها 944 جنيهاً صرفت على الأشغال العامة
1937	3232	4549	منها 1319 جنيهاً صرفت على الأشغال العامة
1940	4199	2749	منها 996 جنيهاً صرفت على الأشغال العامة
1943	8824	6069	منها 794 جنيهاً صرفت على الأشغال العامة
1944	8321	7370	منها 3350 جنيهاً صرفت على الأشغال العامة

ومن خلال الجدول تبين أن الواردات كانت تزداد في كل عام عن العام الذي يسبقه وكذلك نلاحظ أن النفقات أيضاً في ازدياد في كل سنة عن السنة السابقة، وهذا كان يدل على دور البلدية الفعال والإيجابي في تقدم المدينة وتطورها وبنائها وتقديم الخدمات المختلفة من توفير الكهرباء والماء وتعبيد الطرق وإزالة النفايات وتقديم الرخص للأبنية والإنشاءات المختلفة في المدينة.

كما انضم عدد من رجالات البدو إلى الشرطة المحلية ووحدة الجندرمة* الفلسطينية التي كانت عبارة عن دوريات متنقلة، تمتطي الجمال والجياد ومعظم أفرادها من البدو، هذا وقد انخرط بعض شيوخ البدو في هذه الوحدة مثل الشيخ سليمان العطاونة وإبراهيم أبو رفيق، وسليمان

* الجندرمة: وهي قوات الشؤطة (الدرك) الفلسطينية ظهرت في عام 1921 حيث بدأ بتسجيل الجندرمية الفلسطينية مع قوات بريطانية مكونة من 13 ضابطاً واثنين من ضباط الصف البريطاني وثمانية ضباط فلسطينيين و30 خيالاً من رتب مختلفة حيث تم تدريبهم على مهام مختلفة، محافظة، محمد، وثائق بريطانية عن شرق الأردن وفلسطين، 169.

وذيب أبو ربيعة، وحماد الصانع وعدد آخر من الشيوخ، وكان مركز الجندرمة في مدينة بئر السبع[1]. كما أنشأت ثمانية مخافر في مناطق شتى من قضاء بئر السبع في كل من عصلوج وعوجاء، والخفير، والزوايدة، والغمر، وأم الرشراش، والعمارة، والجمامة كلها مجهزة بلاسلكي باستثناء العمارة فيها هاتف، واما الجمامة فلم يكن فيها أي من وسائل الاتصال لا هاتف ولا لاسلكي[2].

نجحت إدارة الانتداب البريطاني في السيطرة على القبائل بمختلف وسائل الترهيب والترغيب واستطاعت الحد من المنازعات والغزو بين القبائل وفي هذه المرة تحولت بعض العشائر من حياة البدو إلى حياة شبه البداوة في القرى أو حتى في بئر السبع[3].

السكان:

عندما انتهت الحرب العالمية الأولى سنة 1918م كانت فلسطين قطراً عربياً مماثلاً لأجزاء العالم العربي الآخر، وقدر عدد سكانها بحوالي (700.000) نسمة منهم (574 آلاف مسلم) و(70 ألف) مسيحي، و(56 ألف) يهودي، يعمل حوالي (12 ألف) منهم مزارعين بينما الباقون يعملون في المدن الفلسطينية المختلفة[4].

أما سكان مدينة بئر السبع فكانوا جميعهم مسلمين شوافع ما عدا بعض الأسر المسيحية تعيش في المدينة نفسها[5]، ومعظم سكان المدينة يعودون بأهلهم إلى غزة والخليل وقليلون منهم من

([1]) فلاح، غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب، 1906–1986، 101.

([2]) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 270.

* قوة الدرك في هذه المخافر كانت مؤلفة من مئة وأربعين جندياً منهم اثنان وسبعون هجانة أكثرهم من أبناء البدو وأربعة وعشرون فارساً وثمانية عشر مشاة، وعلى رأس هذه القوة ثلاثة ضباط من أبناء البدو وضابطان إنجليزيان أحدهما مساعد مدير وهو مسؤول مع القائم مقام عن الأمن، نفس المصدر، 270.

([3]) المرعشلي، أحمد، الموسوعة الفلسطينية، 363/1.

([4]) هداوي، سامي، الحصاد المر فلسطين بين عامي 1914–1979م، 78.

([5]) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 268.

البدو الذين تحضروا بعد استيطانهم فيها[1]، وبالنسبة لقضاء بئر السبع كان سكانه بدواً رحلاً وشبه رحل يسكنون الخيام [2]، وهم القبائل العربية السبعة، الجبارات والحناجرة والتياها والترابين والعزازمة والسعديين والحويات[3].

وقد أجرى البريطانيون خلال فترة الانتداب على فلسطين عام 1918–1948م ثلاث احصاءات للقضاء ولكن أدقها وأقربها للصحة هو الذي جرى في صيف عام 1946م[4].

إحصاء عام 1922

لم تعرف الأراضي الفلسطينية قبل عام 1922م العملية التي يطلق عليها إحصاءات والتعداد السكاني بمفهومها الحالي، ولكن في العهد العثماني خضعت عملية الإحصاء للتقديرات والتخمين، حيث كان يتم توكيل مهمة حصر وتقدير عدد الأفراد وكميات الأموال وتقديرها إلى الولاة العثمانيين[5].

أقدمت سلطات الانتداب البريطاني لأول مرة في تاريخ فلسطين على القيام بعملية إحصاء شامل للسكان فيها، حيث وزعت الحكومة البريطانية النماذج الإحصائية على أفراد الشعب[6]. وهو أول إحصاء علمي لتعداد السكان البدو، ولكن السكان في قضاء بئر السبع رفضوا التعاون مع سلطة الانتداب البريطاني وقاطعوا هذا الاحصاء، ظناً منهم أن الإحصاء ربما كان محاولة حكومية، لمعرفة عددهم لغرض تجنيدهم وجباية الضرائب منهم كما فعل الأتراك من قبل كما أن هذا الإحصاء كان في بداية الانتداب البريطاني، لذلك كان لا بد من تحفظ سكان البلاد من نوايا المستعمر[7].

([1]) الدباغ، مصطفى، موسوعة بلادنا فلسطين، 352/2.

([2]) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 268.

([3]) فلاح، غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب، 1906–1986، 43.

([4]) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 15/2.

([5]) عكاشة، أحمد، قراءات في تاريخ فلسطين الاقتصادي، 1920–1948، 93.

([6]) نفس المصدر، 90.

([7]) فلاح، غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب، 1906–1986، 46.

وبالفعل رفض الشعب الفلسطيني هذه الخطوة فور الإعلان عنها، وأصدرت بريطانيا بيانات عديدة حملت التهديد والوعيد لمن لا يستجيب لهذه الخطوات ويعرقل عملية الإحصاء[1].

وفي 1922/12/20م أصدرت اللجنة التنفيذية رغم التردد الذي كان ينتابها بين الحين والآخر تعليمات إلى أبناء الشعب للإقبال على عملية الإحصاء وتعبئة النماذج[2]. لما في ذلك من إظهار القوة الحقيقية والتي يعتمد عليها وهي الأكثرية الساحقة[3].

وبالفعل جرى الاحصاء في 1922/10/22م[4]. إلا أن القبائل البدوية في قضاء بئر السبع امتنعت عن تقديم البيانات[5]. حيث لم يستطع الشيوخ إقناعهم بأن هدف الإحصاء لم يكن لأغراض تعداد الذكور للخدمة العسكرية وبما أن الإحصاء الرسمي كان مستحيلاً فقد استعملت أرقام تقديرية، حيث تم تقديرهم بواسطة تقدير عدد دافعي الأعشار* ومن الجداول الرسمية حيث كان يدفعها أرباب العائلات، وقد قدر معدل حجم العائلة من عينة قليلة من السكان البدو الذين أحصوا في هذه الفترة، وهكذا تم التوصل بواسطة عملية الضرب الحسابية إلى أن عدد السكان هو 71115 نسمة[6]، وبلغ عدد سكان مدينة بئر السبع (2350) نسمة حسب هذا الإحصاء[7]

إن عملية الإحصاء لسكان قضاء بئر السبع عن طريق ضريبة الأعشار غير دقيقة ولا قريبة إلى الواقع لأن دافعي الضريبة كانوا أرباب عائلات ومن الشيوخ المعروفين، وكل من لم يكن معنياً بدفع الضريبة كان باستطاعته الهرب لأنه قبل عام 1948م لم يكن هناك تسوية

([1]) خله، كامل، فلسطين والانتداب البريطاني، 290.

([2]) عكاشة، أحمد، قراءات في تاريخ فلسطين الاقتصادي، 1920–1948، 95.

([3]) خله، كامل، فلسطين والانتداب البريطاني1922–1939م، 91.

([4]) هداوي، سامي، الحصاد المر فلسطين بين عامي 1914و1979م، 79.

([5]) عكاشة، أحمد، قراءات في تاريخ فلسطين الاقتصادي، 1920–1948، 96.

* ضريبة العشر: تستوفى على المحاصيل الزراعية بنسبة 10% من الانتاج نقداً أو عيناً بموجب قانون يتعلق بضريبة العشر أصدرته الدولة العثمانية عام 1840م، ثم رفعت إلى 12.63% خلال الفترة 1883–1900م لتمويل المصرف الزراعي والأشغال العامة والطرق والمعارف والتجهيزات العسكرية، ثم خفضت عام 1906م إلى 12.5% تسهيلاً لجبايته، الحزماوي، محمد، ملكية الأراضي في فلسطين 1918–1948م، 147.

([6]) فلاح، غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب، 1906–1986، 46.

([7]) الإحصاء الرسمي البريطاني عام 1922م

للأراضي في قضاء بئر السبع، ومن هنا فإن عدداً من أرباب العائلات الذي استخرجه موظفو الاحصاء من جدول الأعشار هو الحد الأدنى لأرباب العائلات البدوية، ومن هنا تبين أن عدد السكان 71115 لبدو القضاء هو أدنى حد وليس العدد الصحيح[1].

إحصاء عام 1931م

جرى تعديل على التقسمات الإدارية لفلسطين خلال الفترة الفاصلة ما بين التعدادين، فقد كانت فلسطين مقسمة إلى أربعة ألوية وأصبحت في عام 1931 مقسمة إلى ثلاثة ألوية[2]

1. اللواء الشمالي ويشمل أقضية حيفا وعكا والناصرة وطبريا وصفد ونابلس وجنين وطولكرم وبيسان ومركزه حيفا.
2. منطقة القدس وتضم أقضية القدس ورام الله وبيت لحم وأريحا ومركزها القدس
3. اللواء الجنوبي ومركزه يافا ويضم أقضية يافا والرملة والخليل وغزة وبئر السبع[3].

وفي منتصف عام 1931م اجتمع مستر ملر مفتش المنطقة الجنوبية وعارف العارف قائمقام بئر السبع بالإضافة إلى قائمقام الخليل وغزة وحضر هذا الاجتماع بعض الشيوخ لمسائل تتعلق بإحصاء عام 1931م[4].

أجري إحصاء النفوس في فلسطين عام 1931م وفي اليوم 1931/11/18م خرج ميلز بصفته مدير الإحصاء العام بأن عملية إحصاء المناطق البدوية في اللواء الجنوبي لفلسطين لم تجر في نفس اليوم الذي جرى فيه الإحصاء العام لفلسطين وقد أدرج إحصاء القبائل في قضاء بئر السبع في جدول الإحصاءات تحت عنوان إحصاء خصوصي، وبناءً على هذا الإحصاء صنف سكان لواء بئر السبع إلى سكان حضر وسكان رحل[5]، وقد قدر عدد سكان قضاء بئر السبع في إحصاءات سنة 1931م بحوالي 51082 نسمة[6]، حيث بلغ عدد السكان الرحل 47981

([1]) فلاح، غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب، 1906–1986، 46.

([2]) مسودي، تيسير، سكان محافظة الخليل دراسة ديمغرافية، 41

([3]) النحال، محمد، فلسطين أرض وتاريخ، 175.

([4]) صحيفة فلسطين 1931/6/19–ع79–1746.

([5]) فلاح، غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب، 1906–1986، 48.

([6]) الحسيني، محمد، التطور الاجتماعي والاقتصادي في فلسطين العربية، 96.

بينما بلغ عدد السكان الحضر 3101 نسمة حسب هذا الإحصاء[1] وقد بلغ عدد المدن حسب هذا الإحصاء مدينة واحدة وهي بئر السبع كما بلغ عدد القرى قريتان في كل قضاء بئر السبع[2]، عوجاء الحفير وبلغ عدد سكانها (29) نسمة، والجمامة وبلغ عدد سكانها (6) أفراد[3].

احصاءات عارف العارف عام 1932م

عندما كان عارف العارف قائمقام مدينة بئر السبع قام بإجراء تعداد سكاني لبدو قضاء بئر السبع عن طريق إعداد السجل بأسماء القبائل البدوية وقد استطاع بمساعدة مشايخ البدو أن يعطي أدق إحصاء يمكن أن يتوصل إليه أي باحث[4].

وقد ذكر عارف العارف الطريقة التي قام بها لإقناع البدو في عملية إحصاء أنفسهم حيث قال "لم أدع باباً من أبواب الإقناع إلا وولجته، ولم أترك وسيلة من وسائل النجاح إلا توسلت بها، وقد سهل لي مهمتي كثرة تجوالي بين العربان واطلاعي بحكم الوظيفة على كثير من طبائعهم وأخلاقهم فاعتقدوا بصحة قولي يوم قلت لهم أنه لا خطر عليهم وعلى بلادهم من إحصاء بل الخير وكل الخير فيه[5].

قام عارف العارف بإعداد جدول عن قبائل قضاء بئر السبع الستة (الترابين والعزازمة والتياها والحناجرة والجبارات والسعيدين)، وذكر أسماء العشائر والحمائل في كل قبيلة مع عدد بيوت الحمائل وعدد الذكور والإناث في كل حمولة، وقد تضمنت هذه الجداول أيضاً الأشخاص الذين سكنوا قضاء بئر السبع في هذه القرى من غير هذه القبائل، ولم تضم الجداول قبيلة

([1]) فلاح، غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب، 1906–1986، 48.

([2]) مسودي، تيسير، سكان محافظة الخليل دراسة ديمغرافية، 78.

([3]) الإحصاء الرسمي البريطاني عام 1922م

([4]) فلاح، غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب، 1906–1986، 49.

([5]) عارف العارف، القضاء بين البدو، 8.

الحويات. الواقعة في أقصى جنوب قضاء بئر السبع[1]. والسبب في ذلك لأن هذه القبيلة تابعة للحكومة المصرية وأكثر منازلها في سيناء، ولذلك لم يذكرها في إحصائه عام 1932م[2].

ويظهر الجدول التالي تعداد سكان القبائل في قضاء بئر السبع حسب عارف العارف 1933م[3]:

الرقم	اسم القبيلة	عدد افراد القبيلة
.1	الترابين	16284
.2	العزازمة	8678
.3	التياها	13838
.4	الجبارات	4452
.5	الحناجرة	3735
.6	السعيدين	645
	المجموع	47632

وقد بلغ عدد سكان مدينة بئر السبع ثلاثة آلاف نسمة من ذكور وإناث وفقاً لإحصاءات عام 1933، كما بلغ نسبة الغرباء في قضاء بئر السبع أي من غير أسماء هذه القبائل 8621 [4]. أن عدد الغرباء غير مشمول في عدد الأفراد في جدول الإحصاء السابق وبذلك يبلغ مجموع سكان قضاء بئر السبع حسب احصاء عارف العارف 56253 نسمة. ويعلق عارف العارف على هذا الإحصاء ويقول "إذا أضفنا هذا العدد إلى العدد الذي يمكن الحصول عليه من الحويات ورجعنا بالذاكرة إلى ما ذكرته من مكان وجود خطأ في الإحصاء العام بنسبة 20% استطعنا أن نجزم أن قضاء بئر السبع يضم سبعين ألف نسمة وهنالك من يعتقد أن فيه أكثر من مئة ألف نسمة[5].

([1]) فلاح، غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب، 1906–1986، 49–50.

([2]) عارف، العارف، القضاء بين البدو، 34.

([3]) نفس المصدر ، 8–34.

([4]) نفس المصدر، 34.

([5]) عارف، العارف، القضاء بين البدو، 34.

تقدير تحليل التصوير الجوي لعام 1945م:

جرت عام 1945 محاولة لتعداد بدو قضاء بئر السبع بناء على تحليل صور جوية قام بها الجيش البريطاني في فلسطين في تلك السنة، وعرفت محاولة تعداد البدو في قضاء بئر السبع عام 1945م (بمسح الخيام) والتي بموجبها تم تحليل 3800 صورة جوية لمنطقة قضاء بئر السبع وذلك لمعرفة عدد الخيام والوحدات السكنية الأخرى مثل الأكواخ والبيوت ومن معرفة عدد وحدات السكنة المتمثلة في الخيمة الواحدة يمكن إعطاء معدل تقريبي لعدد الأفراد في الوحدة السكنية[1].

وتختلف هذه المحاولات عن بقية المحاولات الأخرى باعتبارها الخيمة الواحدة مقياساً احصائياً بدل القبيلة أو العائلة، هذا وقد تم تحديد 9080 خيمة، وقد أعطى العدد (5) كمعدل للوحدة السكنية الواحدة وعليه يستخلص الرقم (45400) نسمة لعدد بدو النقب في قضاء بئر السبع[2].

تقديرات عام 1946م

جرى هذا الإحصاء في شهر أيار لسنة 1946م[3]. وهو آخر محاولة حكومية لمعرفة عدد السكان البدو في قضاء بئر السبع، وقد اختير شهر أيار لإجراء التعداد وذلك لتواجد أكبر عدد ممكن من البدو في مضاربهم وفي أراضيهم في موسم الحصاد وذلك لقرب البدو من أراضيهم وسهولة تعدادهم. ومن هنا فقد حاول موظفو الإحصاء بذل جهود مكثفة لبناء علاقات اجتماعية وكسب ثقة الشيوخ البدو لإقناعهم بأهمية التعداد، وقد كانت ردود بعض الشيوخ إيجابية حيث أسهم هؤلاء الشيوخ ببث دعاية إيجابية وإقناع بقية الشيوخ بالاشتراك الفعلي في الإحصاء[4].

وفي 1946/4/20م وقبل أيام قليلة من المباشرة بعملية الإحصاء الفعلي قدمت اللجنة الأمريكية البريطانية تقريرها حول الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية بفلسطين

([1]) فلاح، غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب، 1906–1986، 51.

([2]) نفس المصدر، 52.

([3]) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 15/2.

([4]) فلاح، غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب، 1906–1986، 53.

بالنسبة لتأثيرها على مشكلة هجرة اليهود إليها واستيطانهم فيها، وكان من بين التوصيات السماح بإدخال مئة ألف يهودي إلى فلسطين[1]. ولهذا السبب فقد قرر السكان البدو مقاطعة الإحصاء خوفاً من أن تقع منطقتهم ضمن الجزء الذي خصص للدولة اليهودية وذلك لأن منطقتهم تمتاز بكثافة سكانية متدنية، ولم يستطع موظفو الإحصاء إقناع البدو بالعدول عن مقاطعة الإحصاء وهكذا جرت عملية الإحصاء تقديرية من عينة شملت تقريباً 3000 عائلة ضمن زهاء 16000 نسمة، فبالاعتماد على نتائج المسح الجوي للسنة السابقة حسب تعداد العائلة البدوية في قضاء بئر السبع مساوياً للرقم 15780 مضرباً بمعدل 5.53 نسمة للوحدة السكنية الواحدة؛ وبذلك كانت النتيجة 87236 نسمة عدد سكان قضاء بئر السبع حسب سنة 1946[2].

من الملاحظ ان عملية إحصاء السكان في قضاء بئر السبع لم تكن عملية سهلة، بالرغم من محاولة إدارة الانتداب البريطاني إجراء خمس عمليات إحصاء إذا أضفنا لها إحصاء عارف العارف لهذه الإحصاءات ويبدو أن السبب يعود لخوف البدو أنفسهم من هذه الإحصاءات وذلك لخوفهم من التجنيد الإجباري أو لزيادة نسبة الضرائب أو ربما لخوفهم من توطين اليهود في قضاء بئر السبع وذلك بسبب قلة الكثافة السكانية بالنسبة لمساحة القضاء.

([1]) عبوش، واصف، فلسطين قبل الضياع، 332.

([2]) فلاح، غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب، 1906–1986، 53.

التعليم في فترة الانتداب

كان التعليم في أثناء الحكم العثماني يقتصر فقط على التعليم الابتدائي، كما كانت اللغة التركية هي اللغة الرسمية في مدارس فلسطين كافة، وذلك على الرغم من تعليم اللغة العربية بشكل متوسط وعليه فقد كانت العربية من الناحية التعليمية لغة أجنبية[1].

وبعد هزيمة الدولة العثمانية وخضوع فلسطين للإدارة العسكرية البريطانية عام 1918م، اهملت الخدمات التعليمية في المدارس بشكل عام، وعندما بدأت الحكومة البريطانية عام 1920م بتوجيه نظرها إلى شؤون التعليم[2].عين الرائد وليامز من قسم الخدمة المدنية في الهند، والذي ألحق للخدمة في إدارة المناطق المحتلة للعمل على إعادة نظام التعليم[3]. كما كان يشرف أيضاً على الشؤون الزراعية، مما يدل على أن الإدارة العسكرية البريطانية لم تول التعليم ما يستحقه من عناية[4].

وضعت الحكومة البريطانية برنامجاً يقضي بفتح 75 مدرسة ابتدائية خلال الفترة الممتدة بين 1920–1924م كما يتولى السكان العرب فتح 300 مدرسة أيضاً في هذه المرحلة ولكن خطة الأربع سنوات توقفت بعد عامين من سنة 1922م لأسباب سياسية ومالية، ولم تضع الحكومة في اعتبارها فتح مدارس للقبائل البدوية في قضاء بئر السبع وإنما اتخذت اجراءات تتعلق بتعيين أربعة معلمين يعيشون في الخيام البدوية [5].

وفي عام 1933م اقترحت خطة شبيهة بتلك كان الغرض منها رفع مستوى نظام المعارف العربي وهنا أيضاً حالت الصعوبات المالية دون تنفيذ هذه الخطة بحذافيرها ومن جهة أخرى فأن التبعات الملقاة على عاتق الحكومة كانت لا تعطي الأمل لتحسين مستوى التعليم[6].

([1]) محافظة، محمد، وثائق وتقارير بريطانية عن شرق الأردن وفلسطين، 83/1.

([2]) صالح، ياسر، التعليم في مدينة الخليل في ظل الانتداب البريطاني، 23.

([3]) محافظة، محمد، وثائق وتقارير بريطانية عن شرق الأردن وفلسطين، 84/1.

([4]) صبري، بهجت، فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى 1914–1920م، 229.

([5]) قطشان، عبد الله التعليم العربي الحكومي أبان الحكم التركي والانتداب البريطاني 1916–1948م، 123.

([6]) الحسيني، محمد، التطور الاجتماعي والاقتصادي في فلسطين العربية، 196.

مما يلفت النظر أن الحكومة العسكرية لم تكن تقدم للتلاميذ أي نوع من أنواع المساعدة لا بالنسبة للكتب ولا حتى للأدوات المدرسية[1].

مدراس مدينة بئر السبع:

كانت المدارس في مدينة بئر السبع قليلة مقارنة مع المدن الفلسطينية الأخرى[2]. بلغ عددها مدرستان حكوميتان واحدة للبنات والثانية للبنين وهناك مدرسة ثالثة بستان أطفال تدير شؤونها لجنة خاصة من سكان المدينة ما عدا الشؤون الفنية منها تشرف عليها إدارة المعارف[3]، وتستقبل هذه المدارس إلى جانب أبناء المدينة أبناء العشائر بعد أن ينهوا المرحلة الابتدائية في مدرسة عشيرتهم[4].

مدرسة البنين:

بنيت المدرسة في العهد التركي، زودت بالمرحلة الابتدائية العليا سنة 1933م وفي سنة 1934م شيد للمدرسة منزل للسكن الخاص للتلاميذ من أبناء منطقة قضاء بئر السبع[5]. والجدول الآتي يبين وضع مدرسة البنين خلال الحكم البريطاني:

السنة الدراسية	عدد الصفوف	عدد الطلاب	عدد المعلمين بالإضافة للمدير
1920/1919	4	180	8–6
1921/1920	7–5	224–184	
1933/1932			
1934/1933	12–8	500–266	14–8
1947/1940			

(1) خله، كامل، فلسطين والانتداب البريطاني، 82.

(2) ابو حجر، آمنة، المدن والقرى الفلسطينية، 173/1.

(3) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 356/2

(4) المرعشلي، أحمد، الموسوعة الفلسطينية، 476/1.

(5) قطشان، عبد الله التعليم العربي الحكومي إبان الحكم التركي والانتداب البريطاني 1916–1948م، 128.

وفي عام 1947–1948م بلغ عدد الطلاب 580 طالباً يوزعون على الصفوف من الأول الابتدائي حتى الصف الأول ثانوي الذي أستحدث أول مرة عام 1947م[1]، ووصل عدد المعلمين عام 1947–1948م (17) معلماً[2].

واشتملت المدرسة على حديقة مساحتها 7 دونمات لتدريب التلاميذ على الأعمال الزراعية، كذلك شيدت في المدرسة غرفة خاصة للأعمال اليدوية والنجارة[3]. ولهذه المدرسة مكتبة بلغ عدد ما فيها من كتب في عام 1947م (1455) كتاباً في مختلف العلوم والفنون[4].

مدرسة البنات:

كانت تشغل إحدى غرف مدرسة البنين بداية العشرينيات وكانت تعمل فيها معلمة واحدة، ثم انتقلت المدرسة إلى بناية مستأجرة، وفي العام الدراسي 1932/1931م ارتفع عدد التلميذات إلى 158 تلميذة وكانت تشمل المرحلة الابتدائية الأولى ويعمل فيها 4 معلمات[5]. وفي عام 1946 بوشر بإقامة بناية كبيرة على بقعة خاصة بلغت مساحتها 13 دونماً، حيث تم انشاء ثلاث غرف منها في صيف عام 1947م، وفي عام 1948م زودت المدرسة بأربع غرف أخرى وقد بلغ عدد طالباتها عام 1948م (300) طالبة كما احتوت المدرسة على مكتبة بلغ عدد الكتب فيها سنة 1947م (651) كتاباً[6].

بستان الأطفال:

وهي تتبع لجنة خاصة، وقد بوشر بالتدريس فها في 1946/7/22م في بناية مستأجرة، ولقد بلغ عدد الملتحقين فيها عام 1948 حوالي(90) طالباً وطالبة بينهم 33 بنتاً تعلمهم معلمتان[7].

([1]) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 357/2.

([2]) أبو سمور، قصة مدينة بئر السبع، 48.

([3]) المرعشلي، أحمد، الموسوعة الفلسطينية، 476/1.

([4]) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 358/2.

([5]) قطشان، عبد الله التعليم العربي الحكومي أبان الحكم التركي والانتداب البريطاني 1916–1948م، 129.

([6]) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 358/2.

([7]) نفس المصدر، 359/2.

مدارس قضاء بئر السبع:

كانت جميع المدارس في قضاء بئر السبع مدارس للذكور، وهي قسمان قسم حكومي تديره الحكومة وتدفع رواتب المعلمين، وقسم تابع للقبيلة التي تقوم بجميع نفقاتها وتشرف عليه فنياً إدارة المعارف في اللواء[1]. وكان عدد المعلمين في هذا القسم معلم واحد في المدرسة وغالباً كانت القبيلة تدفع لهم رواتبهم ويدرسون في خيام أو في بيوت الشعر(2). ويتنقلون مع القبيلة أينما ذهبت(3).

ويظهر مما يلي مدارس قبائل قضاء بئر السبع:

1- مدارس قبيلة الحناجرة: كان لقبيلة الحناجرة مدرستان حكوميتان في نهاية الانتداب الأولى مدرسة الحناجرة والثانية مدرسة النصيرات.

2- مدارس قبيلة الجبارات: كان لهذه القبيلة ثلاث مدارس هي مدرسة الجبارات ومدرسة أبو جابر بالإضافة لمدرسة الثوابتة.

3- مدارس قبيلة الترابين: زودت هذه القبيلة بثماني مدارس منها خمس حكومية والباقي تابع للقبيلة وهي كالآتي: مدرسة معين، مدرسة الشعوش، ومدرسة أبو معلق، ومدرسة الزريعي، ومدرسة أبو الحصين، ومدرسة أبو يحيى، ومدرسة العمارة.

4- مدارس قبيلة التياها: كان لهذه القبيلة تسع مدارس اثنتان حكوميتان والسبع الأخرى تابعة للقبيلة: مدرسة أبو الحجاج، ومدرسة هزيل، ومدرسة الشلالين، ومدرسة إلبها، ومدرسة القديرات، ومدرسة كسيفة، ومدرسة الجمامة، ومدرية خويلفة، ومدرسة عرعرة.

5- مدارس قبيلة العزازمة: زودت هذه القبيلة بأربع مدارس جميعها تابع للقبيلة وهذه المدارس هي مدرسة الحلقة، ومدرسة العوجا، ومدرسة عسلوج، ومدرسة الخزعلي[4]. بلغ

([1]) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 340/2.

([2]) أبو سمور، قصة مدينة بئر السبع ، 49.

([3]) ديفيس، أوري، المجتمع البدوي في النقب واقتصادياته، 34.

([4]) قطشان، عبد الله التعليم العربي الحكومي إبان الحكم التركي والانتداب البريطاني 1916-1948م، 130.

حصيلة عدد المدارس قضاء بئر السبع حتى 1948/1/1م (26) مدرسة فيها أكثر من 1390 طالباً وكان عدد المعلمين يزيد عن 29 معلماً[1].

لقد كانت رغبة القبائل في تعليم أبنائها كبيرة جداً فلقد تقدم عدد كبير من الطلاب للمدارس في عام 1947–1948م ولكن لم تتمكن المدارس من استيعابهم. وقد قام معلمو المدارس في قضاء بئر السبع، خلال عام 1947 بإحصاء عدد الملمين بالقراءة والكتابة بين البدو فبلغ (2720) رجلاً أي نسبة 3% من مجموع سكان القضاء[2]. معظم هؤلاء لا يتعدى مستواهم الرابع الابتدائي والقليل من الذين أتموا دراستهم الابتدائية الكاملة والأقل القليل أتم دراسة الثانوية وأما عدد الذين أتيحت لهم الدراسة العليا أو الجامعية فضئيل جداً، وقد بلغ مجموع ما صرفته القبائل لتعليم أبنائها في مدارس قضاء بئر السبع خلال العام الدراسي 1946–1947م (8076) جنيهاً و594 ملاً وهذا مبلغ كبير بالنسبة لتلك الأيام وبالنسبة لحالة البدو المالية[3].

وبالإضافة لذلك فقد كانت تعقد دروس في المساجد وخاصة الجامع الكبير في بئر السبع وأحياناً بالجامع الصغير، تهدف إلى تعريف الناس بأمور دينهم وكانت تتطرق لمواضيع اجتماعية متعددة وتحثهم أيضاً على بناء المدارس لتعليم أبنائهم فيها وبناتهم على حسابهم الخاص بسبب قلة ميزانية المعارف من جهة والأوقاف من جهة أخرى[4].

كما أسهم للمجلس الإسلامي الأعلى بتوفير بعض البعثات العلمية والجامعية لبعض الطلبة من بئر السبع ففي عام 1930م تقدم أحد طلاب القضاء وهو عادل عبد القادر العشي بطلب مساعدة للسفر لمصر لطلب العلم[5] وفي عام 1938م طلب أيضاً محمد النجدي من بئر السبع مساعدة للدراسة في الأزهر وذلك بواسطة القائمقام عارف العارف ووافق المجلس الإسلامي الأعلى على ذلك[6].

([1]) قطشان، عبد الله التعليم العربي الحكومي إبان الحكم التركي والانتداب البريطاني 1916–1948، 131–132.

([2]) أبو سمور، قصة مدينة بئر السبع ، 50.

([3]) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 340/2.

([4]) مؤسسة إحياء التراث، ملف 13/1940/4–6/11/90

([5]) مؤسسة إحياء التراث، ملف 0/1930/2–5/2/75

([6]) مؤسسة إحياء التراث، ملف 34/2/75، 13/1938/5.

الخدمات الصحية:

عندما احتلت بريطانيا فلسطين عام 1918م وجدت بضع بقايا لخدمات صحية حكومية، وجدت في أثناء الحكم العثماني، والتي كانت لا تغطي الاحتياجات الأساسية الصحية في فلسطين هذا أصلاً إن كانت على أرض الواقع. وعليه فقد أصبح من واجب السلطة المحلية، أن تشكل أو تؤسس المؤسسات والمراكز الصحية والموظفين في بلد أرهقته الحرب وانتشرت فيه الأمراض[1].

بدأت الإدارة العسكرية البريطانية بالعمل على تنظيم الخدمات الصحية وتنفيذ خططها الرامية إلى إعادة أو تأسيس الدوائر والمؤسسات في المناطق المحتلة في فلسطين، تم افتتاح المستشفيات والمستوصفات ومكاتب الصحة في العديد من المدن الفلسطينية وقد زودت هذه المكاتب بالأطباء المتخصصين[2].

كانت جميع هذه المستشفيات مزودة بأسرة بريطانية الصنع وفرشات جديدة وبطانيات كما كان يشترط ارتداء الزي الخاص بالممرضات في المستشفيات الحكومية أثر في تحسن مستوى مهنة التمريض ونوعيتها[3].

استمرت الإدارة العسكرية البريطانية بإجراءاتها في معالجة الأمور الصحية في فلسطين فكان نائب مدير الإدارة العسكرية والحاكم العسكري في القدس يصدران من حين إلى آخر بعض التعليمات والأنظمة بشأن ضبط الأمور الصحية تتلخص هذه الإجراءات بالقوانين والأنظمة التي أصدرتها إدارة الانتداب[4]. ومن هذه القوانين قانون الصحة العامة رقم (1) الذي صدر بتاريخ 1918/5/1م من قبل الجنرال موني اشتمل على سبعة أقسام وهي:

1- تعليمات متعلقة بتسجيل المواليد والوفيات: ضرورة التبليغ عن الولادة أو الوفاة إلى إدارة الصحة العامة.

([1]) محافظة، محمد، وثائق وتقارير بريطانية عن شرق الأردن وفلسطين، 99/1.

([2]) صبري، بهجت، فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى 1914-1920م، 223.

([3]) محافظة، محمد، وثائق وتقارير بريطانية عن شرق الأردن وفلسطين، 119/1.

([4]) صبري، بهجت، فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى 1914-1920م، 223.

2- التطعيم حدد عدد من الأمراض المعدية كالجدري، الكوليرا، الحصبة، وغيرها من الأمراض.

3- القسم الثالث الأمراض المعدية: نصت التعليمات على ضرورة تطعيم المواليد خلال ثلاثة أشهر من تاريخ الميلاد.

4- جثث الموتى: نصت التعليمات على ضرورة التبليغ عند مشاهدة جثة في الحال إلى أقرب نقطة شرطة.

5- الدفن في المدن التي توجد فيها مصلحة الصحة العمومية: نصت التعليمات على ضرورة الحصول على إذن دفن من مكتب الصحة العمومية ولا يتم دفن الميت قبل مرور ثلاث ساعات من وفاته.

6- رخص الأطباء: ضرورة تنظيم ممارسة مهنة الطب ويجب على الطبيب الحصول على إجازة ممارسة الطب.

7- واجبات السكان: المحافظة على النظافة العامة في البيوت والشوارع[1].

وخلال عام 1921م تم تحقيق الكثير من التقدم في مجال إنشاء المستشفيات والمعدات والممرضين، كما أنشئت فروع متخصصة في مجال الطب والجراحة، وبلغ عدد المستشفيات 11 مستشفى حكومي في القدس وحيفا ويافا ونابلس والرملة مجهزة جيداً، ولم يكن بالإمكان تجهيز مستشفيات الرملة وطولكرم وغزة وعكا والخليل وبئر السبع لتكون مليئة بالمرضى أو حالات العزل وذلك بسبب عدم ملائمتها أو عدم تهيئة الظروف الصحية للمباني[2].

وكان في مدينة بئر السبع مستشفىً حكوميّ واحد يحتوي على ثمانية أسرة وطبيب واحد وثلاث ممرضات وصيدلي وبضعة أفراد من الممرضين، وفي المستشفى مستوصف للمرضى يعالج فيه ما لا يقل عن مئتي مريض في اليوم الواحد، كما وجد ثلاثة مستوصفات أخرى في قضاء بئر السبع في كل من العوجا والعمارة والجمامة وكان الطبيب في المستشفى يزور هذه المستوصفات في قرى قضاء بئر السبع في أوقات مختلفة[3].

([1]) محافظة، محمد، وثائق وتقارير بريطانية عن شرق الأردن وفلسطين، 119/1.

([2]) الوقائع الفلسطينية، 16-5-1918-ع56.

([3]) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 269.

في حين كانت الوظيفة الأساسية لهذه المستوصفات الطبية معالجة علاج المرضى الفقراء الذين يستطيعون تغطية نفقات علاجهم في أماكن أخرى ومنهم موظفو الدولة وطلبة المدارس الذين يعانون من أمراض العيون والملاريا وغيرها من الأمراض، كذلك كانت هذه المستوصفات الطبية تخدم كمركز للتطعيم ولفحص المسافرين عن طريق الحجر الصحي، عند مراكز الحدود كعسلوج مثلاً[1].

والبدو دائماً يحبون أن يكون الرجل نحيلاً خفيف الحركة ويكرهون السمنة لأن ذلك يعوقه عن الحركة والكر والفر[2]، والبدو حادو البصر، ناعمو البشرة ذوو إعضاء متناسقة وأسنانهم متينة ونظيفة وهم أقوياء الأجسام ولكن على الرغم مما تقدم نجد بينهم عدداً من الأمراض مثل النزلات الرئوية والشعبية وأمراض الجهاز الهضمي، فإنها كثيراً ما تصيبهم ولكنها لا تنتج الموت إلا بين الأطفال الصغار، وأما أمراض العين فإنها قليلة إلا في المدينة نفسها، فإن داء الحبيبات (التراخوما)* منتشر فيها يسبب أضراراً جسيمة في العين تنتهي بالحول أو الالتهابات القرنية وبفقدان البصر في بعض الأحيان[3]. فقد أصيب إمام جامع الكبير في بئر السبع بمرض الرمد أحجبه عن الوظيفة أكثر من عام وهو يكابد هذا المرض[4].

ويستخدم البدو طرقاً متعددة تقليدية في مداواة بعضهم بعضاً مثلاً يستخدم البدو الحجامة للتخفيف من وجع الرأس، ويؤخذ الدم في هذه الحالة من صدغي المريض وإذا شعر البدوي بوجود شيء كالرمل على رأس قلبة، فإنهم يسقونه على الريق مزيجاً من عسل النحل الصافي والقزحة، وإذا أصاب شخص منهم الرمد يشترون القطرة من العطار، وكذلك يستخدمون لعلاج الرمد مزيجاً من بياض البيض والجنزارة يوضع على الجفون[5]. ولم يكن البدو يأخذون

([1]) محافظة، محمد، وثائق وتقارير بريطانية عن شرق الأردن وفلسطين، 121/1.

([2]) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 24/2

* الترخوما: ينتج هذا المرض عن الظروف السكنية السيئة والأحوال الصحية السيئة وهو من اكثر الأمراض الشائعة في فلسطين ويأتي بعد الملاريا من حيث التكلفة الاقتصادية و تبلغ نسبة المصابين في بعض المناطق 97% ويصيب هذا المرض الأطفال أكثر من الكبار، محافظة، محمد، وثائق وتقارير بريطانية عن شرق الأردن وفلسطين، 132/1.

([3]) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 269–270.

([4]) مؤسسة إحياء التراث، ملف 3/1925/4–1/11/95.

([5]) عارف، العارف، القضاء بين البدو، 243–246.

بالطب والأطباء بل كانوا يعتقدون بالطب العربي، ولكن فيما بعد أخذوا يفدون إلى المستشفى في بئر السبع. وبعضهم كان يأتي بالطبيب إلى المنزل لمعالجته[1].

النشاط السياسي والعسكري:

النشاط السياسي:

منذ أن احتلت بريطانيا فلسطين في عام 1917م وتكشفت النوايا الصهيونية للسيطرة عليها انضم أهالي قضاء بئر السبع إلى إخوانهم في الحركة الوطنية[2]. وفي عام 1920م اختار هربرت صموئيل (المندوب السامي على فلسطين) الشيخ فريح أبو مدين من ضمن أعضاء المجلس الاستشاري الأول وقد قبل الشيخ فريح العضوية فيه حيث اعتبرها خدمة للقضية الوطنية[3].

كما حضر شيوخ العشائر المؤتمرات الفلسطينية المتعاقبة وخاصة المؤتمر الخامس في عام 1922م والسادس عام 1923م، والسابع عام 1928م، ومن بينهم حسين أبو سته، وحسن أبو جابر، وفريح أبو مدين وحسن العطاونة، وإبراهيم الصانع[4].

وفي 1930/11/12م اجتمع في دار الحكومة في مدينة بئر السبع ما يزيد عن خمسمائة رجل من عربان قضاء بئر السبع ليحتجوا على الحكومة بوساطة مشايخهم ضد الكتاب الأبيض*. وسياسة بريطانيا المنحازة لليهود، ورفعوا برقية للمندوب السامي بذلك وقع عليها مشايخ قضاء بئر السبع وهم فريح أبو مدين وحسن أبو سته وعبد ربه المعين وحمد الصانع عضو

---

(1) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 270.

(2) جريدة الحياة، 27-9-1995-ع11906

(3) جرار مروان، قراءة تحليلية في الخطاب السياسي الفلسطيني 1920-1935م، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، العدد 2، 2012م، 425.

(4) جريدة الحياة، 27-9-1995-ع11906

* أصدر الانجليز بتاريخ 1930/10/24م فذكروا فيه أنهم ملتزمون بصك الانتداب الذي هو تعهد دولي على فلسطين، ومما جاء فيه أيضاً أن الشكل الدستوري الذي يتطلبه العرب يتنافى مع التزامات الحكومة الانتداب ولكن حكومة جلالته ترى أن الوقت قد حان للسير في منح فلسطين درجة الحكم الذاتي على أن تلائم صك الانتداب، وقرروا أيضاً تشكيل مجلس تشريعي، وتحديد الهجرة اليهودية. جبارة، تيسير، دراسات في تاريخ فلسطين الحديث، 93.

اللجنة التنفيذية وعبد ربه ربيعة وأديب مرطاني وسلامة بن سعيد، كلهم من مشايخ بئر السبع وقضائها[1].

عارض بدو قضاء بئر السبع محاولات الحركة الصهيونية شراء الأراضي في القضاء[2]. حيث كان سماسرة وبائعو الأراضي يأخذون المعلومات من أهل القضاء من أسماء الذين يريدون تقسيم مواريث لعمل جداول ليسهل السمسرة والبيع[3].

قام المجلس الإسلامي بدور واضح لإنقاذ الأراضي العربية ومنع وقوعها في أيدي المؤسسات الصهيونية، حيث منع بواسطة المحاكم الشرعية التي كانت يشرف عليها بيع أو قسمة أي أرض كان للقاصرين فيها نصيب، كما كان يشتري كثير من أراضي المشاع، وفي بداية الثلاثينيات قرر المجلس القيام بحملات توعية واسعة في المدن والقرى، حيث قام الحاج أمين الحسيني بنفسه بزيارة مختلف المناطق في فلسطين التي كان اليهود يحاولون شراء الأراضي فيها[4].

وعلى أثر هذه الجولات زار الحاج أمين الحسيني قضاء بئر السبع عام 1932 ونصبت له خيمة في وادي الشريعة. وقام الشيخ إبراهيم الصانع بدعوة مشايخ العشائر والمخاتير للاجتماع بالمفتي، وهذا الاجتماع تم الاتفاق فيه على تجنيد عرب قضاء بئر السبع في الحركة القومية العربية للدفاع عن القضاء في وجه المد الاستيطاني الصهيوني، وقد ورد في الاتفاق الذي وقع عليه مشايخ البدو، ثلاثة قرارات مصيرية ووقعوا عليها وهي:

1- كل شخص من عرب قضاء بئر السبع يقوم ببيع أرضه أو يتعاون أو يتوسط في عملية بيع أرض عربية لليهود أو في عملية تمس الأرض العربية يعتبر ذلك الشخص مهدراً دمه.
2- إذا حصل وقام شخص ببيع أرضه يعتبر خائناً ومطروداً وإذا قتل نتيجة ذلك لا تدفع لأهله الدية.

([1]) صحيفة فلسطين، 1930/11/16- ع208-1588.

([2]) فلاح غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب 1906-1986م، 107.

([3]) مؤسسة إحياء التراث، ملف رقم 1/11/95-3/1925/4.

([4]) الحزماوي، محمد، ملكية الأراضي في فلسطين 1918-1948م، 353-354..

3- يهب الجميع للدفاع عن الأرض وحمايتها والمساهمة في كل المصاريف المادية التي تحتاج لذلك[1].

وفي عام 1936 تكونت جمعية البدو العربية في بئر السبع وقامت بدور فعال في التوعية الوطنية ومحاربة سماسرة الأراضي[2]. وخاصة تلك الأراضي التي كانت تحت تصرف أناساً من خارج قضاء بئر السبع الذين كانوا يقطنون مدينتي غزة ويافا، وقد كان الشيخ عبد الله أبو ستة من رؤساء جمعية البدو العربية، وقد كانت هذه الجمعية على اتصال بمفتي القدس الحاج أمين الحسيني[3]. وأرسل رئيسها عبد الرزاق أبو سته البرقيات إلى الحكومة البريطانية طالباً إجلاء الإنجليز فاعتقلته السلطات في عكا مدة 6 شهور، وقدم عزت العطاونة بالنيابة عن شيوخ بئر السبع مذكرة مفصلة إلى اللجنة الملكية (لجنة بيل) عام 1937م دعا فيها إلى منع بيع الأراضي لليهود ومنع الهجرة اليهودية[4].

ولم ينجو ملاكو الأرضي في القضاء من السماسرة وأساليبهم، فقد عرض السمسار (سليم التيارسة) على الحاج عيسى بسيسو وهو من ملاكي الأراضي الكبار في القضاء شراء بيارته الكائنة في قصبة بئر السبع بالمحلة الشرقية وتقدر مساحتها بنحو خمسة عشر دونماً حيث دفع له ألف جنيه ثمنها فرفض وأبى، ثم رجع إليه السمسار بعد أيام قليلة وزاده خمسمائة جنيه فرفض وطرده[5].

وحينما وصل الانتداب على فلسطين إلى نهايته قانونياً نتيجة لحل عصبة الأمم في شهر 1946/4م، وبما أن الانتداب قد مارس سلطاته وصياً شرعياً بالنيابة عن عصبة الأمم يصبح انتهاء عهده واضحاً بانتهاء عصبة الأمم[6]، لذلك أعلنت بريطانيا في 1947/11/13م بواسطة ممثلها في مجلس الأمن في الأمم المتحدة والتي تشكلت بديلاً عن عصبة الأمم. أنها قررت

([1]) فلاح غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب 1906-1986م، 107-108.

([2]) جريدة الحياة، 27-9-1995-ع11906.

([3]) فلاح غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب 1906-1986م، 107.

([4]) جريدة الحياة، 27-9-1995-ع11906.

([5]) صحيفة الصراط المستقيم، 21-12-1934، ع813.

([6]) كتن، هنري، قضية فلسطين، 44.

الانسحاب من فلسطين في 1948/5/15م، وعلى إثر هذا القرار قام عبد الرحمن عزام رئيس الجامعة العربية، بالطلب رسمياً من بريطانيا بعدم الانسحاب في الوقت الحاضر وذلك بسبب عدم استعداد الجيوش العربية لمواجهته مع العصابات اليهودية المدربة والمنظمة والمسلحة تسليحاً جيداً ولكن الانجليز رفضوا اقتراح عزام[1].

وقد تبنت الأمم المتحدة في 1947/11/29م قرار تقسيم فلسطين إلى دولتين [2] على أن تضم الدولة العربية المقترحة الجليل الغربي ومنطقة الضفة الغربية، باستثناء مدينة القدس ستكون دولية والسهل الساحلي من أسدود إلى الحدود المصرية، وستضم دولة اليهود المقترحة الجليل الشمالي وسهل مرج بن عامر، ومعظم السهل الساحلي وجميع قضاء بئر السبع[3].

وقد حاول ضباط وموظفون بريطانيون إقناع بعض مشايخ بئر السبع بالمطالبة بإبقاء الانتداب البريطاني على القضاء ويقول في ذلك أحد الشيوخ "أتذكر أنهم دعونا عام 1947م لفندق فلسطين ومن هناك نقلنا إلى المسكوبية، وطلبوا منا المطالبة باستمرار الانتداب، ولكننا لم نوافق، فقد كانت المناوشات قد بدأت".

وقد حضر هذا الاجتماع الشيخ فريح أبو مدين الذي عرف عنه انه أحد قادة الثورة الفلسطينية في تلك الفترة، كما حضر الشيخ حسن أبو جابر والشيخ فريح أبو مظهر والشيخ علي الأسد، وعندما طلب من الشيخ فريح أبو مدين إقناع رؤساء القبائل بالطلب من سكرتير الأمم المتحدة أن يقوم الانجليز بحمايتهم قال: "من لم يقتنع لا يستطيع اقناع الآخرين، فكيف تريد مني اقناع المشايخ"[4]. حيث كانت تهدف بريطانيا من إبقاء جنوب فلسطين تحت سيطرتها للربط بين شرق الأردن ومصر لوجود النفوذ البريطاني فيها[5].

([1]) جبارة، تيسير، دراسات في تاريخ فلسطين الحديث، 125.

([2]) غارودي، رجيه، فلسطين أرض الرسالات السماوية، 262.

([3]) عبوش، واصف، فلسطين قبل الضياع، 367.

([4]) فلاح غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب 1906–1986م، 108.

([5]) جريدة الحياة، 27–9–1995–ع11906.

المقاومة في قضاء بئر السبع:

في الأول من أيار عام 1921م وقعت اضطرابات في يافا عندما قام اليهود بمظاهرة في تل أبيب بمناسبة عيد العمال[1]. تدعو العمال اليهود والعرب إلى امتناع عن العمل والتظاهر بمناسبة عيد العمال العالمي[2]، وقد حصل اصطدام بينهم وبين مظاهرة أخرى يهودية تعارض المظاهرة الأولى، واصطدم اليهود مع العرب في يافا، لأن اليهود ساروا إلى حي المنشية العربي في يافا، وعندما حاولت الشرطة تفريق تظاهرة حزب العمال لجأ أعضاؤه إلى حي المنشية في يافا مما أثار شائعات عن قيام اليهود بمهاجمة العرب، فقام العرب بمهاجمة اليهود[3]، ودار قتال بين العرب واليهود واتسعت رقعته فيما بعد. وامتد إلى مدن اخرى وقد دام خمسة عشر يوماً[4].

وعلى إثر قيام الثورة بيافا قام الشيخ شاكر أبو كشك على رأس عشيرته بمهاجمة المستعمرات اليهودية المجاورة وكبدوها خسائر فادحة وعرب أبو كشك هم إحدى عشائر قبيلة الجبارات لكنهم رحلوا من أراضي بئر السبع ونزلوا نهر العوجا قرب يافا على إثر الحروب والغزو القبلي الذي تحدثنا عنه سابقاً[5]، وشكا سكان مستعمرة ملبس فرب الخضيرة أنه سرق لهم 400 رأس ماشية في أثناء الهجوم، وقالوا أنها في البيت الأبيض مقر الشيخ شاكر أبي كشك شيخ عربان العوجا وطلبت منه القوات البريطانية تسليم نفسه مع أسلحة القبيلة فسلم الشيخ نفسه ولم يسلم الأسلحة فأحرقت السلطة بيته بما فيه من الأثاث، وحوكم الشيخ أمام محكمة عسكرية فحكمت عليه بالسجن 15 سنة[6].

([1]) جبارة، تيسير، دراسات في تاريخ فلسطين الحديث، 68.

([2]) جريس، صبري، تاريخ الصهيونية 1918–1939، 51/2.

([3]) نفس المصدر، 51/2.

([4]) علوش، ناجي، المقاومة العربية في فلسطين 1917–1948م، 49.

([5]) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 77/2.

([6]) السفري، عيسى، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، 73–74.

ولكن أفرج عنه بعد عامين بسبب عدم حضور زعماء بئر السبع الحفلة التي أقامها هربرت صموئيل في بناء تمثال للجنرال اللنبي، بذلك أفرج صموئيل عنه إرضاء للسكان العرب في بئر السبع[1]. ودفع 2000 جنيه غرامة لمستعمرة ملبس[2].

وعندما حدثت ثورة البراق عام 1929م توجه عدد من فرسان قبائل بئر السبع إلى مدينة القدس للوقوف والمشاركة في الدفاع عن المدينة ومقدساتها. كما شارك عربان قضاء بئر السبع في الاضراب الكبير عام 1936م، حيث كان هذا الإضراب أكبر اضراب شهدته فلسطين وكانت له مقدمات هامة أدت إلى قيامه وهي الهجرة اليهودية المتزايدة في فترة قصيرة من الزمن من عام 1931–1935م دخل فيها يهود اكثر مما دخلوا خلال خمسين سنة سبقت[3]، وعامل آخر أدى إلى الإضراب وهو هي زيادة استمرار انتقال الأراضي العربية لليهود سواء عن طريق البيع من قبل بعض الملاك السوريين واللبنانيين الذين كانوا يمتلكون مساحات شاسعة من الأراضي وتحديداً في المناطق الشمالية من فلسطين أو عن طريق حكومة الانتداب التي كانت تقدم أراضي لليهود بشتى الطرق[4].

فكانت القبائل العربية في قضاء بئر السبع جنوب فلسطين شأنهم شأن إخوانهم المعتصمين في جبال الخليل والقدس ونابلس وغيرها من المدن الفلسطينية، ورغم أن أراضي بئر السبع أغلبها سهول فسيحة ولا تساعد على حرب العصابات فلقد كان لهذه القبائل العربية دور مهم في الثورة فقد استطاع المجاهدون من ثوار هذه القبائل تدمير سكة الحديد في اللحظات التي كانت تصل فيها نجدات الجيش البريطاني من السويس بمصر إلى فلسطين، كما اشتهروا بنصب الكمائن ومفاجأة قوافل الجيش البريطاني التي تحمل المعتقلين السياسيين وهي في طريقها إلى معتقل عوجا الحفير*[5]، كما أضرب قضاة محاكم العشائر في بئر السبع عن العمل، وتالف

([1]) جبارة، تيسير، دراسات في تاريخ فلسطين الحديث، 68.

([2]) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 355/1.

([3]) جريدة الحياة، 27–9–1995–ع11906.

([4]) جبارة، تيسير، دراسات في تاريخ فلسطين الحديث، 122.

* معتقل عوجا الحفير: يقع على الحدود المصرية بعيداً عن العمران وعلى جوانبة آثار الحرب الكبرى من أبنية صغيرة أقيمت للتحصين ومحطة سكة الحديد وخنادق، السفري، عيسى، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، 45.

([5]) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 78/2.

وفد من مشايخ القضاء وهم فريح أبو مدين، وحسين أبو سته، وأحمد الصانع، وعبد ربه أبو حصين، وحسن أبو جابر وغيرهم، ذهبوا إلى القدس وقابلوا المندوب السامي وقدموا له عريضة بالمطالب الوطنية[1].

ومن أشهر قادة الثورة في هذه الفترة الشيخ عبد الله أبو ستة والشيخ مدحت الوحيدي وأبو عقيل الذي كان خبيراً بمسالك الصحراء وبزرع الألغام على طرق العدو كما اشتهر من أهل القضاء في هذه الثورة يوسف جابر وتوفيق بسيسو ومحمد أبو رمضان[2].

تحرير مدينة بئر السبع عام 1938م:

في 1938/9/9م فوجئت دائرة البوليس في مدينة بئر السبع بهجوم عنيف من المجاهدين الذين أمطروا دائرة البوليس بوابل من الرصاص، فاستبسل الجنود والبوليس الإنجليز في الدفاع عنها[3]. لذلك أرسل أبناء العشائر من الثوار المحاصرين المدينة إلى قائد الثوار في جبل الخليل عبد الحليم الجولاني يطلبون منه النجدة فسرعان ما اتجه بثواره إلى اخوانه في مدينة بئر السبع واحكموا الطوق على المدينة وركزوا هجومهم على مركز البوليس البريطاني الذي يعتبر القاعدة ومركز القيادة، ودارت معركة عنيفة بين الطرفين وفي النهاية تغلب الثوار على هذه القاعدة[4].

وقد قتل في هذه المعركة عدد كبير من موظفي البوليس البريطاني وجرح الجنود الباقون الذين انسحبوا وأخلوا دائر البوليس ليسيطر المجاهدون، واستولوا على جميع ما فيها من بنادق قرابة العشرين وذخيرة كبيرة من الرصاص ثم ساروا نحو دوائر الحكومة يهللون ويكبرون، وماء الورد يرش عليهم من النوافذ، فسيطروا على دوائر الحكومة وفتشوها[5]. ثم اشعلوا النار في

---

(1) السفري، عيسى، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، 33.

(2) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 78/2.

(3) زعيتر، أكرم، الحركة الوطنية الفلسطينية 1935–1939م، 447.

(4) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 78/2.

(5) زعيتر، أكرم، الحركة الوطنية الفلسطينية 1935–1939م، 447.

هذه الدوائر[1]. مما أدى إلى حدوث أضرار كبيرة في هذه البنايات[2]. ثم سرعان ما توجهوا إلى تمثال الجنرال اللنبي في مدينة بئر السبع وحطموه[3]. وفي الصباح انسحبوا وعلى أثر ذلك توجه عدد كبير من الجنود البريطانيين إلى بئر السبع، وهذه أول معركة كبيرة تقع في الجنوب مما أذهل الإنجليز الذين كانوا مطمئنين إلى أن منطقة بئر السبع لا تسهم بالثورة[4]. وبعد جهود كبيرة استطاعت السلطات أن تسترد سيطرتها على المدينة بعد أن انسحب المجاهدون منها[5].

وفي 1938/9/14م استطاع المجاهدون تحرير قرية عسلوج في قضاء بئر السبع واستولوا على أسلحة مركز البوليس فيها وأحرقوه ثم استولوا على ما كان لدى جامعي الضرائب من ضرائب[6].

كانت قبائل بئر السبع شأنها شأن بقية القرى والمدن الفلسطينية تحمل السلاح للدفاع وطرد المعتدي من أراضيهم، فقد استطاع المناضل مدحت الوحيدي من قبيلة الترابيين أن ينظم مجموعة صغيرة من الرجال المسلحين في بادئ الأمر وسرعان ما انضمت لهم مجموعات كثيرة ضمت رجالاً من جميع أنحاء فلسطين وقد خاضوا معارك ضد البريطانيين والصهيونية في سنة 1936 و1939م واستطاع المجاهدون بقيادته أن يكبدوا الأعداء خسائر فادحة[7].

وينسب إلى بئر السبع المجاهد سعيد العشي الذي يعمل في قوات الشرطة الفلسطينية، فكان يساعد الثوار في تنقلاتهم وحركاتهم ولكن هذه الأعمال لم تجد نفعاً بنظره فاستقال من وظيفته في عام 1947م وتفرغ للجهاد، وأخذ يدرب الشباب على حمل السلاح واشترك في صنع

([1]) صحيفة البشير، 24-9-1938م-ع5612.

([2]) صحيفة الدفاع، 22-9-1938-ع1223.

([3]) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 79/2.

([4]) زعيتر، أكرم، الحركة الوطنية الفلسطينية 1935-1939م، 447.

([5]) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 360/2.

([6]) زعيتر، أكرم، الحركة الوطنية الفلسطينية 1935-1939م، 449.

([7]) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 57/2.

الألغام والمتفجرات لنسف المصفحات اليهودية، وفي إحدى المرات ألقى بنفسه فوق لغم في غزة ليفدي بجسمه بقية إخوانه فانفجر اللغم ومزق جسده ونجا إخوانه المجاهدون[1].

وفي أثناء حرب عام 1948م ذهب الشيخ إبراهيم العقبي إلى مصر في ذلك الحين بجلب أسلحة لتسليح رجال عشيرته للدفاع عن أراضيهم وعشيرتهم، وفعلاً استطاع الحصول على بعض الأسلحة الخفيفة. وهكذا تم تسليح نخبة ممتازة من رجال عشيرة الشيخ للدفاع عن أرض العشيرة، واتخذت هذه المجموعة المسلحة من مكان يسمى ازحليقة في قضاء بئر السبع مقراً ينطلقون منه لمهاجمة مستعمرات العدو الإسرائيلي لإيقاع الخسائر به واقلاق راحتهم، ونصب الكمائن للدوريات، الأمر الذي جعل العدو يحشد قوة كبيرة للإغارة على قاعدة ازحليقة في أوائل شهر 6 عام 1948م، ودارت معركة عنيفة وفي النهاية استولى الصهاينة على ازحليقة وقاموا بحرق وتدمير منزل الشيخ إبراهيم العقبي وأحرقوا خيام العشيرة وقتلوا مواشيهم واحتلوا أراضي العشيرة كلها البالغة أحد عشر ألف دونم[2].

معركة بئر السبع عام 1948م

غادرت القوات البريطانية مدينة بئر السبع في 1948/5/14م حيث وقع حفل مهيب انزل فيه العلم البريطاني ورفع مكانه العلم العربي الفلسطيني، والذي رفع العلم على سارية الحكومة هو شفيق مشتهى رئيس البلدية[3]. وعلى أثر هذا الانسحاب تشكلت في بئر السبع حامية عسكرية للدفاع عنها مؤلفة من أفراد الشرطة المحلية والهجانة بلغ عددها نحو 60 رجلاً بالإضافة لعدد من المناضلين والشباب المتطوعين من أبناء المدينة من البدو، وتولى قيادة هؤلاء جميعاً عبد الله أبو سته وكان في حوزتهم 200 بندقية و14 جهاز لاسلكي، و14 هاتفاً ميدانياً، وبعض الأسلحة الأوتوماتيكية الخفيفة وعدد من الألغام والقنابل اليدوية، كما انضم إلى هؤلاء المقاتلين عدد من المتطوعين المصريين والليبيين وقدر عددهم من 50–80 متطوعاً بينهم 12 ضابطاً،

([1]) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 361/2.

([2]) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 114/3–115.

([3]) نفس المصدر، 87/2.

لجأ الصهاينة فور انسحاب القوات البريطانية من منطقة بئر السبع إلى بسط سيطرتهم على المناطق والطرق المهمة من الناحية العسكرية لتهيئة الفرصة لاحتلال المدينة[1].

أصدرت القيادة العامة الإسرائيلية أمراً إلى الجنرال ألون لاحتلال المدينة، وهذا بدوره أصدر الأوامر إلى ساريج قائد اللواء الجنوبي لاحتلال المدينة[2]، وقد حشدوا لهذه الغاية قوة رئيسية قوامها لواء مدرعة وثلاثة كتائب مشاه[3]، وقد كانوا مزودين بالمصفحات والمدافع الثقيلة وراجمات الألغام وكانت أسلحتهم متنوعة بين روسية وفارسية، وكان معظم المقاتلين من يهود فرنسا يقودهم جنرال من يهود المانيا اسمه شنتهايم يساعده عدد من اليهود المدربين على القتال[4]

اما التدابير التي اتخذت للدفاع عن بئر السبع كانت هزيلة، فقد كان القائد المسؤول عن حماية المدينة هو الضابط المصري ابراهيم شعيب وراح القائد ابراهيم يلح في طلب السلاح من القيادة المصرية العامة (المرابطة في المجدل) وبدلا من أن تعطيه ما يطلب امرأته أن يرسل اليها اربعة من المدافع الستة التي كانت لديه من عيار ستة ارطال، ولم يبقى في المدينة سوى مدفعيين من هذا العيار وبنادق اعتيادية هي التي كانت بيد المشاة.[5]

وقد مهد اليهود للهجوم بقصف جوي عنيف استمر أربع ليال على مدينة بئر السبع[6]. دار من 10/18 إلى 10/21 1948م ولم يكن لدى المدافعين عن المدينة مضاد للطائرات، مما أدى إلى تدمير عشرة منازل، وقتل سبعة أشخاص وإحداث ذعر في المدينة بسبب هذا القصف، وكان هذا القصف عبارة عن تمهيد لزحف المشاة، وقابلهم المصريون بنيران مدافعهم التي نصبوهم على مقربة من محطة السكة الحديدية التركية حيث كانت فوق تل مرتفع ما بين بئر السبع وعسلوج حامية من الجيش المصري ولكنها لم تنفع في صد اليهود عن بئر السبع، ولم

---

(1) أبو جابر، إبراهيم، جرح النكبة، 48/2.

(2) علي، فلاح، الحرب العربية الإسرائيلية 1948–1949م وتأسيس إسرائيل، 224.

(3) الشرع، صادق، حروبنا مع اسرائيل 1947–1973. 239

(4) عوض، خالد، بئر السبع سجل مصور من أواخر العهد العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني، 231

(5) ابو جابر، جرح النكبة، ابراهيم 53/2

(6) علي، فلاح، الحرب العربية الإسرائيلية 1948–1949م وتأسيس إسرائيل، 224.

يكتفي اليهود بهذا، بل راحو يقصفون المدينة براجمات الألغام التي نصبوها على طريق العمارة وعلى تل أم صيدع الى الجنوب الغربي من المدينة، ولكن الهجوم من هذه الناحية صد بسهولة وثبت بعد ذلك انه كان هجوما مصطنعا القصد منه التضليل، إذ بدأ الهجوم الحقيقي من النواحي الأخرى، ولا سيما من الشمال والشمال الغربي للمطار وخربة الشرباص[1]

وفي 1948/10/19م أصدر مجلس الأمن أمراً بوقف القتال في بئر السبع ولكن الأمر لم ينفذ إلا في 22 من نفس الشهر[2]. وفي 1948/10/20 بدأ الهجوم الكبير على مدينة بئر السبع، فعند الساعة العاشرة من ليلة 10/20 تسلل اليهود الى المدينة من الشرق والغرب والجنوب بعد ضرب متواصل من الهاونات[3]

وبعد معركة دامية مع المدافعين عن المدينة تمكن الإسرائيليون من احتلال القسم الأكبر منها لكنهم لم يتمكنوا من احتلال عمارة تيجارت (القلعة) [4]. وقد استبسل هؤلاء المدافعون من المصريين والسودانيين والفلسطينيين ورفضوا الاستسلام[5]. لذلك احضر الإسرائيليون النجدات وطوقوا القلعة وانهالت القنابل الإسرائيلية على القلعة تارة في سقفها وأخرى في جوانبها[6].تحرج الموقف بعد ذلك وتوالت اشارات قوة بئر السبع بطلب النجدة[7]، حيث طلب القائد المصري إبراهيم شعيب نجدة من القيادة حيث أرسل خمسة وثمانون برقية استغاثة ولكن دون جدوى، وفي آخر برقية جاء الجواب من الجنرال أحمد المواوي وهو مسؤول عسكري مصري بأن القوات جميعا تتعرض للهجوم في كل مكان ولا امكانية لنجدة[8].

وبعد أن فقد الأمل في النجدة قاد الضابط المصري إبراهيم شعيب سرية مكونة من حوالي (120) جندياً وخرج من القلعة مقتحماً صفوف الإسرائيليين بعد أن قرر المغامرة والانسحاب

---

(1)أبو جابر، إبراهيم، جرح النكبة 54/2

(2) التل، عبد الله، كارثة فلسطين، 409.

(3) احمد، رفعت، وثائق حرب فلسطين الملفات السرية للجنرالات العرب، 288.

(4) الأحمد، نجيب، فلسطين تاريخ ونضال، 546.

(5) أبو جابر، إبراهيم، جرح النكبة، 49/2.

(6) الأحمد، نجيب، فلسطين تاريخ ونضال، 546.

(7) سيد أحمد، رفعت، وثائق حرب فلسطين الملفات السرية للجنرالات العرب، 288.

(8) أبو جابر، إبراهيم، جرح النكبة، 49/2.

بما يمكنه من قواته، وبأسلوبه المفاجئ تمكن من شق طريق الانسحاب والخروج من صفوف العدو ونجا مع 90 من جنوده وقتل 30 جندياً، واخيراً اقتحمت الدبابات الإسرائيلية القلعة، وكان أول المقتحمين قائد الكومندو دون سيغال ومجموعته الإفريقية اليهودية الذين اقتحموا كل غرفة في القلعة يطلقون النار على كل حي وجدوه جريحاً أو غير جريح وأخيراً دخل قائد القوات المهاجمة كارمي واستولى على القلعة وقبض على 200 من المصريين جنوداً وضباطاً كأسرى ومعظمهم كان جريحاً خلال معركة بئر السبع [1].

وبعد معركة عنيفة دامت عدة ساعات تمكن اليهود من احتلال مدينة بئر السبع حوالي الساعة التاسعة صباح يوم 1948/10/21[2]

وقد دافع المناضلون والثوار الذين دافعوا ببسالة عن المدينة لكنهم لم يكونوا يملكون العتاد ولا الذخيرة الكافية ولا الامداد اللازم من الجيوش العربية لذلك احتلت القوات الصهيونية مدينة بئر السبع[3].

وفي صباح اليوم التالي 1948/10/22م جمع اليهود سكان المدينة من رجال ونساء في ساحة السرايا داخل السلك الشائك، وكان عددهم يقرب من ألف حيث كان يقطن في مدينة بئر السبع قبل أن يحتلها اليهود زهاء ستة آلاف وسبعمائة نسمة، ولما اشتد القتال نزح معظمهم ولم يبقى في المدينة إلا القليل. أسر اليهود (535) رجلاً (350) منهم جنود مصريون و(185) من سكان المدينة، وحمل اليهود الشيوخ والنساء ولأطفال الذين بقوا في المدينة ولم يبرحوها، حملوهم في سياراتهم فنقلوهم إلى مستعمرة (بيروت إسحاق) القريبة من غزة، وهنالك تركوهم فجاء المصريون وأخذوهم إلى غزة [4]، وظل اليهود في بئر السبع وما حولها بينما ظلت القوات المصرية تسيطر على بعض المواقع على الطريق الذي يربط بئر السبع بقرية العوجا،

---

(1) الأحمد، نجيب، فلسطين تاريخ ونضال، 546.

(2) الصادق، الشرع، حروبنا مع اسرائيل 1947–1973، 239

(3) سمور، حسن، قصة مدينة بئر السبع، 64.

(4) أبو جابر، إبراهيم، جرح النكبة، 49/2.

على حدود مصر الشرقية وقوات مصرية آخر مركزها عسلوج على مسيرة عشرين ميلاً من بئر السبع[1].

وبعد سقوط مدينة بئر السبع سقطت قرى القضاء حيث احتلت القوات الإسرائيلية قرية معين في 1948/12/22م[2]، وفي 1948/12/26 هاجمت القوات الصهيونية قرية عسلوج بعدد كبير من المصفحات[3]، وكانت حاميتها تتألف من 100 متطوع من الليبيين والمصريين وتسعة من افراد البوليس (الهجانة) من بدو بئر السبع[4] بالإضافة الى عدد من القوات النظامية المصرية، وقد استبسلت في الدفاع عن الموقع ولكن تمكن اليهود من الاستلاء على الموقع بعد معركة شديدة استشهد فيها عدد من المدافعين[5]

وفي صباح يوم 1948/12/26م أغارت ثلاث طائرات يهودية على منطقة العوجة فضربت المباني بقنابلها، وأطلقت الرشاشات على الجنود حيث أصيب واستشهد عدد منهم، ومن ثم وصل عدد من المصفحات إلى العوجة ودارت معركة شديدة غير متكافئة بين القوات الصهيونية والمصرية وعدد من المدافعين من أبناء البدو، وانتهت باستيلاء الصهاينة على العوجة في 1948/12/27م[6]، كما سقطت قرية الجمامة في أيديهم[7].

وخلال معركة احتلال مدينة بئر السبع ابتعدت أعداد كبيرة من البدو عن مناطق القتال وفي الأسبوع الأول من شهر 1948/11م قام الجيش الإسرائيلي بترحيل وطرد البدو الذين سكنوا في ضواحي بئر السبع ضمن دائرة قطرها حوالي 10كم^2[8].

كما طرد الجيش الإسرائيلي كثير من القبائل البدوية المقيمة في قضاء بئر السبع حيث طرد قبيلة الترابيين إلى قطاع غزة، وسمح إلى عدد قليل من أفرادها فقط بالبقاء، وشطرت قبيلة

---

(1) الشريف، كامل، الاخوان المسلمون في حرب فلسطين، 191

(2) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 92/2.

(3) سيد أحمد، رفعت، وثائق حرب فلسطين الملفات السرية للجنرالات العرب، 288

(4) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين 464/2

(5) سيد احمد، رفعت، وثائق حرب فلسطين الملفات السرية للجنرالات العرب، 288

(6) نفس المصدر، 383.

(7) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 92/2–93.

(8) مورس، بني، طرد الفلسطينيون وولادة مشكلة اللاجئين، 227.

أخرى التياهة إلى قسمين نصفهم رحل إلى غزة والنصف الآخر رحل في اتجاه الأردن، كما طردت القوات الإسرائيلية قبيلة الحناجرة التي كانت منتشرة على جانبي سكة الحديد إلى غزة وفي أواخر عام 1948م، ومن كل هذه القبائل لن تنجح بالعودة إلا قبيلة العزازمة ولكنها طردت مرة أخرى عام 1950م[1].

أما أولئك البدو الذين صمدوا فوق التراب الفلسطيني في منطقة النقب فأنهم تعرضوا للقهر والاضطهاد وسلب الأراضي من خلال قانون استملاك الأراضي الذي أصدرته قوات الاحتلال، وأخذت تطاردهم وتمنعهم من الوصول إلى الأماكن التي توجد فيها المراعي الخصبة[2].

وبذلك انحصرت الحياة البدوية في النقب بعد عام 1948م على جزء محدود من النقب، وذلك في منطقة تبلغ مساحتها 10% من مجموع ما كان تحت تصرفهم قبل عام 1948م[3]. وفي بداية عام 1949م نقل اليهود آلاف البدو من أماكن تواجدهم من جنوب وغرب بئر السبع إلى منطقة مقلصة جد تقع إلى الشرق من المدينة غير انه نظراً إلى اعمال التهريب، وطبيعة الحياة البدوية التي تعتمد على التنقل وعدم الاستقرار كان الجيش الإسرائيلي يقوم بين الحين والآخر بعمليات طرد القبائل البدوية من النقب، ففي بداية شهر 1 عام 1949م طرد الجيش الإسرائيلي حوالي (500) عائلة بدوية إلى جبال الخليل[4].

لقد عمل اليهود على إبعاد وتشريد البدو من قضاء بئر السبع من أجل زيادة السكان اليهود وإنقاص نسبة السكان العرب. من أجل تامين الأراضي الخاصة بمشاريع الاسكان الاستيطانية لليهود المهاجرين، ومن اجل الاستفادة من الأيدي العاملة في الاقتصاد الصهيوني في المدن الأخرى[5].

وهكذا سقط قضاء بئر السبع بأيدي القوات الإسرائيلية الذي ما لبث أن تخلص من احتلال حتى رزح تحت احتلال آخر في فترة وجيزة لا تتعدى الخمسة شهور.

---

(1) عوض، خالد، بئر السبع سجل مصور من أواخر العهد العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني، 231

(2) أبو سمور، حسن، قصة مدينة بئر السبع، 64.

(3) فلاح، غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب 1906–1986، 198.

(4) مورس، بني، طرد الفلسطينيون وولادة مشكلة اللاجئين، 227.

(5) أبو سمور، حسن، قصة مدينة بئر السبع، 64.

الفصل الرابع

الأوضاع الاقتصادية في قضاء بئر السبع 1918-1948م

الوضع الاقتصادي العام

كان في فلسطين طيلة فترة الانتداب اقتصادان عربي ويهودي متمايزان يتقاسمان أرضاً مشتركة وتقودهما قوى متنازعة. وذلك تبعاً لاختلاف القوى السياسية، فالاقتصاد العربي كان اقتصاداً زراعياً بسمته العامة. أما الاقتصاد الإسرائيلي فكان زراعياً وأيضاً صناعياً، أما الصناعة العربية فكانت في الأغلب تقليدية، وبالإضافة لذلك قامت حكومة الانتداب بوضع العراقيل أمام تطويرها، مما أدى إلى تأخرها عن الصناعة اليهودية التي حظيت بالاهتمام والرعاية الحكومية، كما أعفيت وسائل انتاجها وموادها الخام من الرسوم الجمركية، في الوقت الذي زادت هذه الرسوم على الصناعات العربية [1].

أدت السياسة الاقتصادية التي كانت تميل لصالح اليهود إلى زيادة الاستيطان اليهودي في فلسطين وتسريعه كما أدت هذه السياسة إلى زيادة مساحات الأراضي التي تمتلكها اليهود، وزيادة عدد المستوطنات التي كانت تقام دائماً فوق أخصب الأراضي الزراعية، وأكثرها جودة وانخفضت نسبة الأراضي الصالحة للزراعة لدى الفلسطينيين[2].

ولما كان الصهاينة قد بدأوا نشاطاً واسعاً للسيطرة على الأرض والصناعة والزراعة فقد اتجهت الحركة الوطنية إلى منازلة الحركة الصهيونية. لذلك قررت الحركة الوطنية مقاومة بيع الأراضي. وكان كل مؤتمر ينعقد أو كل احتجاج يرسل لا بد أن يتضمن بنداً واضحاً يطالب بوقف بيع الأراضي، ذلك أن الذي يسيطر على الأرض يسيطر على الاقتصاد، وإزاء السياسة التي كان ينتهجها البريطانيون والصهاينة لتدمير الاقتصاد الفلسطيني كان لا بد من

---

(1) شبيب، سميح، الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للحركة السياسية في فلسطين 1920–1948، 101.

(2) عكاشة، أحمد، قراءات في تاريخ فلسطين الاقتصادي، 1920–1948، 119.

إيجاد وسائل لمحاربتهم بنفس الأسلوب، حيث تم عقد مؤتمر اقتصادي في القدس* سنة 1923م[1]. كما كان للمقاطعة التي قام بها العرب ضد اليهود بعد أحداث ثورة البراق 1929م أثر بارز في تشكيلاتهم الاقتصادية، إذ قد دفعتهم المقاطعة إلى الاعتماد على أنفسهم والاستغناء عن كثير مما كانوا يستهلكون من البضائع والمصنوعات اليهودية، وأدى ذلك إلي خلق بعض المصنوعات والشركات[2].

وخلال مؤتمر الشباب الفلسطيني الأول الذي عقد في كانون أول 1932م في مدينة يافا كان ضمن قراراته تأسيس صندوق الأمة وجاء نتيجة لازدياد انتقال الأراضي لليهود لإنقاذ الأراضي العربية من البيع لليهود[3].

وتبعاً لقوانين الانتداب الاقتصادية. عانت فلسطين من أوضاع الركود الاقتصادي، التي سادت العالم في الثلاثينيات من القرن الماضي، ولكن بانتهاء الحرب العالمية الثانية، وصلت فلسطين مستوى عالياً من الازدهار، وذلك لكونها أحد المراكز الرئيسية للاتصالات خلال الحرب، وبذلك أنقذ اندلاع الحرب العالمية الثانية 1939م الاقتصاد الفلسطيني من الركود، ودفع به إلى القيام بدور رئيسي في الجهد العسكري البريطاني في الشرق الأوسط، كما تم تعبئة السكان لدعم برنامج يهدف إلى خفض الاعتماد على المصادر الخارجية للتجهيز وتوسيع الأساس الصناعي الفلسطيني[4].

لقد تفاعلت قبائل قضاء بئر السبع مع هذه الحوادث والتغيرات الاقتصادية والسياسية التي حلت بفلسطين، وقد انعكس هذا التفاعل في توجيه حياة البدو نحو الاستقرار الثابت والعمل الزراعي المكثف في الأرض التي تحت تصرفهم. حيث تبين للبدو أهمية الأرض، من حيث كونها

---

* قرارات المؤتمر: 1- السعي لإلغاء ضريبة العشر ورسوم الإفراز، 2- تشجيع غرس الأشجار، 3- تأسيس مدرسة زراعية، 4- إعادة المصرف الزراعي، 5- تخفيض رسوم التبغ البلدي وزيادة رسوم التبغ الأجنبي، 6- تحسين الطرق، 7- منع بيع الأراضي إذا كان المالك لا يملك أكثر من مئتي دونم، 8- زيادة ضريبة المشروبات الكحولية، 9- تحديد المهور، 10- تخفيض أجور السكك الحديد، نفس المصدر، 29.

([1]) علوش، ناجي، المقاومة العربية في فلسطين 1917-1948م، 28.

([2]) السفري، عيسى، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، 201.

([3]) الحزماوي، محمد، ملكية الأراضي في فلسطين 1918-1948م، 344.

([4]) شبيب، سميح، الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للحركة السياسية في فلسطين 1920-1948، 101.

البديل الاقتصادي الثابت، هذا وفي نفس الوقت تقلصت أهمية بعض الفروع الاقتصادية البدوية، بعد اختراع السيارات التي حلت محل الجمال والخيول كإحدى وسائل النقل التقليدية[1].

الأراضي:

كانت أراضي قضاء بئر السبع تعتبر أبان الحكم العثماني من أراضي الموات*. وقد اعتبرها قانون الأراضي العثماني عام 1858م أرض تعود ملكيتها للدولة[2]. وقد سمح قانون الأراضي العثماني بإحياء هذه الأراضي من قبل الناس شريطة موافقة الحكومة، على أن يكون إحياؤها في مدة لا تزيد عن ثلاث سنوات، وإذا لم يستعملها خلال هذه المدة تؤخذ منه وتعطى لشخص آخر، أم إذا أحيا رجل أرضاً مواتاً بإذن الحكومة فعلية دفع بدل طابو[3]، وكان يخص للدولة منحها دون مقابل، ونتيجة لسماح الحكومة باستصلاح هذه الأراضي وتملكها، قام العديد من شيوخ ومتنفذي القرى في فلسطين بزراعة الأرض الموات وذلك من أجل حيازة ملكيتها. وقد بلغت مساحة الأراضي الموات في فلسطين عام 1921م ما بين 50–60% من مجموع مساحة أرض فلسطين. وأغلبها من أراض السبخات والمستنقعات في جنوب وجنوب شرق فلسطين بالإضافة إلى الكثبان الرملية على طول الساحل[4].

وفي بداية شهر شباط عام 1921م أصدرت سلطات الانتداب قانونا عدل به قانون الأراضي العثماني ونصت المادة الثانية منه على أن كل من نقب أرضاً مواتاً أو زرعها دون ان يحصل على موافقة مدير الأراضي المستر برامسون لا يحق له أن يحصل على سند ملكية بشأن تلك الأرض، ويعرض نفسه للمحاكمة لتجاوزه على الأرض[5]. ولذلك يكون هذا القانون قد قلب

([1]) فلاح، غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب 1906–1986، 78.

* الأراضي الموات: وهي المحلات الخالية التي لم تكن في تصرف أحد في الطابو ولم تخصص من القديم لأهالي القرية وتبعد بدرجة لا تسمع بها صيحة الرجل الجهير من أقصى العمران، الدستور العثماني، المجلد الأول، الفصل الثاني، المادة 103.

([2]) ديفيس، أوري، المجتمع البدوي في النقب واقتصادياته، 14.

([3]) شبيب، سميح، الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للحركة السياسية في فلسطين 1920–1948، 20.

([4]) الحزماوي، محمد، ملكية الأراضي في فلسطين 1918–1948م، 43–44.

([5]) خله، كامل، فلسطين والانتداب البريطاني1922–1939م، 749.

الواقع السابق بصورة تامة من حيث أنه جعل زراعة الأرض الموات عملاً مخالفاً للقانون[1]. إلا أن أهالي بئر السبع استثنوا من هذا واحتفظوا بأرضهم بحسب قانون العرف والعادة، إذ كان يتم بموجبه البيع والشراء والتوريث، كما اعترفت حكومة الانتداب بملكية الأهالي لأرضهم ففي 1921/3/29م التقى وزير المستعمرات البريطاني ونستون تشرشل بشيوخ بئر السبع بحضور هربرت صموئيل أول مندوب سامي على فلسطين، وأكد لهم اعتراف الحكومة بملكيتهم للأرض حسب العرف والعادة وطلب منهم تسجيل أراضيهم وإعفاءها من رسوم التسجيل ودفع ضريبة العشر على أراضيهم[2]، كما استثنى قضاء بئر السبع من دفع ضريبة الأملاك* واستمر بدفع ضريبة العشر[3].

كما تمت معالجة قضايا الأرض في إطار المحاكم التقليدية التي حظيت بالدعم البريطاني، ومع أن الكثير من أراضي القضاء كانت تعتبر أراضي موات، إلا أن الحكومة اعترفت بالملكية الفردية للأرض[4].

كانت الطرق المتبعة للاستيلاء على الأرض هي الحجر، والحجر هو أن تأتي إلى بقعة من الأرض فتستثمرها ثم تشير إلى مساحة القسم الذي تريد استغلالها منها وتقول للحاضرين هذه أرضي، حيث كان البدو يحجرون الأرض حجراً لا يطلبونها من الحكومة ولا يشترونها من أصحابها والقوي النافذ هو الذي كان يستطيع الحجر، والحجر مألوف بين الأفراد وبين العشائر. ولم يكن البدو يفكرون في تسجيل الأراضي التي يحتجزونها بالرغم من وجود ديوان التسجيل، إذ أنه كانوا يسخرون بمن يقول أن الورقة التي تعطى له من قبل موظف التسجيل أفضل وأقوى من السيف وخلال فترة الثلاثينيات من القرن الماضي كان البدو معرضين عن

([1]) ديفيس، أوري، المجتمع البدوي في النقب واقتصادياته، 14.

([2]) عوض، خالد، بئر السبع سجل مصور من أواخر العهد العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني، 222، 115، 15.

* صدر قانون ضريبة الأملاك عام 1928م، حيث أخذت الحكومة تفكر ببحث الضرائب المفروضة في مناطق الأرياف وتوحيدها في ضريبة واحدة، ولتنفيذ ذلك شكل المندوب السامي في 23/ لجنة عرفت باسم (لجنة الضرائب الريفية)، وذلك للبحث في نظام الضرائب المفروضة على الأراضي الزراعية وتقديم تقرير بذلك للحكومة لدراسة إمكانية استبدال بضريبتي الويركوو العشر ضريبة جديدة تفرض على المناطق الريفية، الحزماوي، محمد، ملكية الأراضي في فلسطين 1918–1948م، 191.

([3]) نفس المصدر، 19.

([4]) نفس المصدر، 199.

التطويب ولم يكن في بئر السبع أراض مطوبة سوى الأراضي التي يملكها المجلس البلدي في مقر القضاء وبعض القطع الأخرى[1].

وإن مالك الأرض ليس مالكاً لهذه الأرض بكل معنى الكلمة ولكنه يعتبر كذلك بفعل وضع اليد، وبالفعل ففي إحصاء عام 1931م سجل البريطانيون 7869 ملاكاً و2508 مستأجراً للأرض في قضاء بئر السبع، وفي عام 1935م قامت شركة تطوير الأرض في فلسطين وهي منظمة صهيونية متخصصة في شراء الأراضي بشراء 25 ألف و351 دونم من أجل إقامة مستوطنات في هذه المنطقة وهذا بحد ذاته بمثابة اعتراف من الصهاينة بأن البدو كانوا يملكون الأرض ملكية خاصة آنذاك، وتشير السجلات الرسمية الخاصة بأراضي الدولة في قضاء بئر السبع أنه في بداية عام 1945م كان هنالك 715دونماً فقط في يد الدولة و845 دونماً مؤجراً للعرب و64.199 دونماً مؤجراً لليهود ولا يساوي ذلك إلا جزءاً ضئيلاً من مجموع أراضي قضاء بئر السبع[2] البالغة حوالي 12.000كم^2[3].

ومن الجدير بالذكر أن أرض فلسطين كانت أكثر تأثراً بالسياسة البريطانية منذ بداية الانتداب، وذلك يبدو طبيعياً في بلد كفلسطين تتميز بالاقتصاد الزراعي، حيث للأرض والزراعة دور حيوي مهم في حياة السكان. ولذلك ركزت السياسة البريطانية ومنذ اليوم الأول للانتداب اهتمامها للسيطرة على الأراضي الفلسطينية وتسليمها لليهود[4]. ولذلك كان لها دور بالغ الأهمية في نقل ملكية مساحات واسعة من الأراضي لليهود فمع صدور نظام الانتداب على فلسطين عام 1920م فإن الأراضي المسجلة باسم الدولة العثمانية أصبحت خاضعة لسيطرة الحكومة البريطانية، مما أدى إلى تسهيل تسرب مساحات كبيرة من الأراضي لليهود، كذلك أتاحت القوانين التي سنتها حكومة الانتداب مجالات واسعة لامتلاك الأراضي فقد ادى سن

([1]) عارف العارف، القضاء بين البدو، 235–236.

([2]) ديفيس، أوري، المجتمع البدوي في النقب واقتصادياته، 14.

([3]) فلاح غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب 1906–1986م، 42.

([4]) عكاشة، أحمد، قراءات في تاريخ فلسطين الاقتصادي، 1920–1948، 121.

قانون أملاك الغائب مثلاً إلى اضطرار الملاك العرب بيع أراضيهم لليهود بأثمان زهيدة، نتيجة لحرمانهم من استغلال أراضيهم[1].

وفي آذار سنة 1926م أصدرت الحكومة قانون الغابات واستخدمته ستاراً لمصادرة الأراضي باسم الغابات لتصبح أراضي حكومة ثم تسهل انتقالها لليهود، ومن هذه الأراضي التي صادرتها في قضاء بئر السبع أراضي عشيرة الظلام وجعلتها حكومية[2].

ولقد بدأت محاولات الاستيطان خلال فترة الانتداب في عام 1921م في الجهة الشرقية من مدينة بئر السبع، تلا ذلك محاولات رجال هاشومر (الحارس) والهستدروت (اتحاد العمال) إنشاء بعض المستوطنات في القضاء[3]. لذلك فقد قام الصهاينة بشراء 25351 دونماً في قضاء بئر السبع وحاولوا تأسيس مستوطنات، ولكن محاولتهم فشلت وانسحب المستوطنون[4].

وفي عام 1943م أنشأ الصهاينة ثلاث مستوطنات لجمع البيانات عن الزراعة في القضاء وفي عام 1946م تم إنشاء المستوطنات المذكورة أعلاه لقصد فرض أمر واقع في النقب وفي شهر تشرين أول من نفس العام[5]، تم إنشاء أحدى عشرة مستوطنة في ليلة واحدة من قبل المتسللين من الطلائع الصهيونية وبتأييد من بريطانيا[6]، وفي شهر شباط من سنة 1947م أضيفت ثلاث مستوطنات جديدة في قضاء بئر السبع، وفي شهر آذار من عام 1948م أصبح عدد المستوطنات 19 مستوطنة في قضاء بئر السبع[7].

وبلغ عدد المستوطنين حتى بداية عام 1948م حوالي 3600 مستوطن جميعهم من شباب الطلائع المسلحين[8].

([1]) أبو عرفة، عبد الرحمن، الاستيطان، 10.

([2]) الحزماوي، محمد، ملكية الأراضي في فلسطين 1918–1948، 118.

([3]) عيد، صبحي، جغرافية الاستيطان الصهيوني في منطقة النجب، 6.

([4]) ديفيس، أوري، المجتمع البدوي في النقب واقتصادياته، 20.

([5]) نفس المصدر، 20–21.

([6]) صانع، أنيس، بلدانية فلسطين المحتلة، 1996.

([7]) ديفيس، أوري، المجتمع البدوي في النقب واقتصادياته، 21.

([8]) عيد، صبحي يوسف، جغرافية الاستيطان الصهيوني في منطقة النجب105.

الزراعة:

تبلغ مساحة فلسطين 27 ألف كم^2، أي 26.319.400 دونماً يصلح للزراعة فيها 8.760.500، فنسبة الأراضي الصالحة للزراعة إلى المجموع هي 33%[1]، وبالرغم من أن حوالي ثلث مساحة الأراضي الفلسطينية يصلح للزراعة[2].

إلى أن أعلى نسبة للأراضي القابلة للزراعة في السهل الساحلي ومرج بن عامر وأما أقل نسبة فتقع في منطقة بئر السبع، ولا تزيد عن 13% من مساحة القضاء[3]، وفي هذا السياق لا بد من الإشارة إلى أن لجنة الأراضي التي شكلتها حكومة الانتداب سنة 1920 برئاسة البريطاني (أرامز) والعربي فيض العلمي واليهودي (كالفارسكي) وهو رئيس جمعية الاستعمار اليهودية في فلسطين، حيث قدروا نسبة الأراضي المفتلحة في بئر السبع بـــ 3.750.000 دونماً عدا المراعي[4].

وفي عام 1930م قدرت الأراضي القابلة للزراعة في قضاء بئر السبع 1.500.000دونم،بلغ عدد سكان قضاء بئر السبع عام 1931م 66.553 نسمة كانت غالبيتهم تعتمد في معيشتها على الزراعة، وبلغ عددهم 54.989 نسمة أي 82.4% وبلغ عدد العاملين من البدو 18.798 عاملاً، يعمل منهم 11.506 أي نسبة 61.2% في الزراعة الاعتيادية و1749 أي 9.3%يعمل في المزارع والحقول 3963 أي 21.1% رعاة و8.4% عمال غير مصنفين[5]، وفي سنة 1936م قدرت الأراضي القابلة للزراعة في القضاء بـــ 1.054.000 دونم، أما في عام 1945م كان قضاء بئر السبع أكبر المساحات المزروعة في فلسطين إذ بلغت نسبة الأراضي المزروعة فيه 2.000.000 دونم تليه غزة 916.805 دونم، فنابلس 707.897 دنماً[6].

([1]) علوش، ناجي، المقاومة العربية في فلسطين 1917–1948، 14.

([2]) سعد، أحمد، التطور الاقتصادي في فلسطين، 40.

([3]) علوش، ناجي، المقاومة العربية في فلسطين 1917–1948، 14.

([4]) عوض، خالد، بئر السبع سجل مصور من أواخر العهد العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني، 223.

([5]) العامري، عنان، التطور الزراعي والصناعي الفلسطيني 1900–1970، 83.

([6]) نفس المصدر، 16–17.

تقع مدينة بئر السبع ضمن خطي المطر 200–300 ملم سنوياً، لكن ذلك يعني أن الأمطار فيها تزيد باستمرار عن 200 ملم بعض الشيء أو تقل فيها كميات الأمطار عن 200ملم.

كانت الزراعة لدى البدو لا تتطلب إلا القليل من الجهد البدني، فإذا ما سقط المطر للمرة الأولى في نشرين الثاني عادة قام المزارعون البدو بحرث الأرض وبذرها بالبذور، وبعد ذلك تترك الأرض إلى أن ينتهي فصل الشتاء حين يعود مالك الأرض لجني المحصول وخلال فترة نمو المحصول يذهب الرعاة مع قطعان ماشيتهم بحثاً عن المراعي. وعندما يرجع في فصل الربيع يبدأ بقطف المحصول حيث يقوم بخلع النباتات من جذورها طلباً لجمع أكبر كمية من العلف[1].

اعتمد البدو على مياه الأمطار في زراعة أراضيهم والتي تتفاوت كمياتها تفاوتاً كبيراً للغاية بين سنة وأخرى[2]. وقد أثبتت التجارب أن سنة محل في المحصول تقع كل أربعة سنوات بسبب قلة الأمطار[3]. وكان البدو يستخدمون أساليب بدائية في جمع مياه الأمطار وإحدى هذه الأساليب هي بناء السدود في الوديان بحيث يتم حبس مياه السيول وراءها، ولما كانت التربة في قضاء بئر السبع مكونة من مزيج من الرمل والطين فإن قدرتها على الاحتفاظ بالماء عالية لذلك فأن الأراضي الواقعة خلف السدود كانت تصبح أكثر خصوبة في أثناء موسم الزراعة، كما كان إنشاء البرك والخزانات هو الأسلوب الأكثر شيوعاً في جميع الماء[4]. ولكن هذه السدود والخزانات كانت تفتقر للأساليب والتدابير الفنية التي تمكنها من الاستفادة من الأمطار القليلة التي تهطل في كل عام[5]. ولم تكن الزراعة في قضاء بئر السبع فترة الانتداب تزيد على عدد قليل من أنواع الزراعة الجافة، وبعض الزراعة المروية وبالرغم من مساحة

([1]) ديفيس، أوري، المجتمع البدوي في النقب واقتصادياته، 17.

([2]) نفس المصدر، 18.

([3]) الحسيني، محمد، التطور الاجتماعي والاقتصادي في فلسطين العربية، 96.

([4]) ديفيس، أوري، المجتمع البدوي في النقب واقتصادياته، 18.

([5]) عارف العارف، القضاء بين البدو، 288.

القضاء الشاسعة التي كانت يزرع فيها القمح والشعير فإن إجمالي الانتاج لم يكن يتناسب معها، ويرجع ذلك إلى اعتماد هذين المحصولين على مياه الأمطار غير الثابتة[1].

وهذا ويبلغ عدد الأيام الماطرة في السنة بشكل عام في مدينة بئر السبع 33 يوماً. أما عدد الأيام الماطرة في تلال القضاء فتتراوح بين 15– 20 يوماً في السنة، كما أن كمية الأمطار السنوية تسقط في شهر واحد أو ربما في عدد من الأيام أو عدد من الساعات في تلك الأيام من ذلك الشهر والسبب هو أنها أمطار صحراوية تسقط فجائية، حيث تهطل كمية كبيرة من الأمطار في فترة زمنية محدودة وغالباً في شهر شباط من كل عام[2].

المحاصيل الزراعية

لقد كان الشعير أهم المحاصيل الزراعية في قضاء بئر السبع، حيث كانت كمية المحصول تتراوح بين 53118 طناً في اكثر السنوات خصوبة عام 1921م وبين 1871 طناً في أكثر السنوات جفافاً عام 1927م ، يليه في الترتيب القمح الذي تراوح انتاجه بين16570 طناً عام 1921م وبين 1080 طناً عام 1927م[3].

كما زرع البدو الذرة والبطيخ والعدس[4] والفول التي كانت تزرع بكميات أقل[5]، أما التبغ فقد منعت سلطات الانتداب زراعته إلا في مناطق محدودة المساحة[6]. وفي عام 1932م طلب أهالي بئر السبع من حكومة الانتداب أن تسمح لهم بزراعة التبغ في مساحات أوسع من المساحات المحدودة كما طلبوا إرسال لجنة لتحديد المساحات الجديدة التي سيصرح بزراعتها[7].

([1]) عيد، صبحي يوسف، جغرافية الاستيطان الصهيوني في منطقة النجب، 6.

([2]) ابو سمور، قصة مدينة بئر السبع، 22.

([3]) ابو سمور، قصة مدينة بئر السبع، 52–53.

([4]) عارف العارف، القضاء بين البدو، 229.

([5]) أبو خوصة، أحمد، بئر السبع والحياة البدوية، 26.

([6]) عارف العارف، القضاء بين البدو، 229.

([7]) صحيفة فلسطين، 1932/1/2، ع234–2192.

وبالفعل رفع هذا المنع في صيف عام 1933م وأصبحت زراعته مباحة في كل أراضي القضاء. فكان هذا الرفع عيداً لدى البدو، إذ وفر عليهم مبالغ طائلة[1]، وذلك نتيجة شرائهم السجاير المصنعة[2].

وعلى ما يبدو فأن التبغ بالرغم من سماح سلطة الانتداب بزراعته إلا أن زراعته كانت بكميات قليلة لا تتعدى الأطنان لأنها لم ترد في أي إحصاء زراعي، وحتى يجبر السكان على شراء السجائر المصنعة من بريطانيا.

والجدول الآتي يبين انتاج المحاصيل الزراعية في قضاء بئر السبع بالطن بين سنتي 1920-1930م[3]:

السنة	الشعير	الحنطة (القمح)	البطيخ	الذرة
1920	27245	6819	5934	1911
1921	53118	16570	3691	1226
1922	22309	12108	2124	1222
1923	7180	5608	1345	927
1924	8179	5173	1856	943
1925	8656	4727	2378	490
1926	12047	1979	531	271
1927	1870	1080	990	1074
1928	12102	2152	525	515
1929	8769	2485	1107	605
1930	8769	2485	1107	605

يتبين من خلال الجدول أن الشعير هو أكثر المحاصيل انتاجاً في قضاء بئر السبع لأن هذا المحصول يستطيع مقاومة الجفاف والاكتفاء بقدر قليل من الماء لنموه، ويليه في الإنتاج القمح، كما أن المواشي في بئر السبع بحاجة إلى هذا النوع من المحصول.

---

(1) عارف العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 271.

(2) عارف، العارف، القضاء بين البدو، 227.

(3) نفس المصدر، 229.

وفي نهاية الثلاثينيات وبعد أن بدأ البدو بزراعة بعض أشجار الفاكهة تغير نمط الانتاج الزراعي، على الرغم من قلة الإنتاج من الأصناف الجديدة حيث أصبح الانتاج يضم بالإضافة إلى القمح والشعير والبطيخ والذرة، العنب والتين واللوز وبعض الفواكه الأخرى والخضار[1].

ومن خلال الجدول نبين أهم محصولات القضاء الزراعية بالطن في ثلاث سنوات بين 1939-1944م[2]:

السنة	القمح	الشعير	العدس	الذرة	البطيخ	العنب	التين	اللوز	فواكه أخرى	خضار
1939	7625	22000	13	420	3216	18	3	4	6	209
1940	10500	25000	9	525	5020	42	6	5	9	159
1944	5134	5134	18	2471	7245	160	6	6	20	679

ويتضح من هذا الجدول أن الشعير استمر أكثر المحاصيل انتاجاً في القضاء ويليه القمح وذلك يعود للأسباب التي ذكرتها سابقاً.

وقد كان البطيخ يزرع في فصل الربيع مستفيداً بذلك من الرطوبة التي تحتفظ بها التربة في أعقاب فصل الشتاء[3]. ومن الجدير بالذكر أن المزروعات اليهودية لم تعط ثمارها في هذا القضاء إلا في عام 1944م فكانت عبارة عن 4 أطنان من القمح و64 طناً من الشعير[4].

التجارة:

كانت بئر السبع مركزاً للقوافل التجارية في الفترات التاريخية المختلفة[5]، وخلال فترة الانتداب اهتم الانجليز بوظيفتها التجارية، فبنوا المخازن التجارية على طول الطرق

---

(1) أبو سمور، حسن، قصة مدينة بئر السبع، 53.

(2) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 337/2.

(3) عيد، صبحي يوسف، جغرافية الاستيطان الصهيوني في منطقة النجب، 66

(4) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 337/2.

(5) أبو حجر، آمنة، موسوعة المدن والقرى الفلسطينية، 173

الرئيسية[1]، كما شيدت بلدية بئر السبع المحلات التجارية على طول جانبي الشارع الرئيسي في المدينة[2].

وأصبحت المدينة سوقاً خاصاً يؤمه البدو، وتجار الحبوب والمواشي ومنتجاتها المختلفة، وكذلك كان البدو يتزودون من أسواق المدينة بما يلزمهم من حبوب وسكر وأرز وأقمشة وأدوات زراعية[3].

وبالإضافة لذلك كان البدو يقومون ببيع حاصلاتهم الزراعية في سنيّ الخصب في أسواق غزة، وخان يونس، والمجدل والفالوجة ومن هذه الأسواق يشترون أيضاً ما يحتاجون من سكر وبن وأرز وأقمشة وغيرها[4].

لقد كان الشعير السلعة الثانية من حيث الأهمية التجارية بعد المواشي، حيث كانت بئر السبع هي مركز الشعير الأول في فلسطين، وكان يصدر إلى بريطانيا عن طريق ميناء غزة. أما المواشي فقد كان لها تجمع كبير في شرق المدينة، كان يطلق عليه اسم سوق الحلال، وكان هذا السوق دائماً كل يوم اثنين من الأسبوع[5].

وقد انخفضت أسعار المواشي في عهد الانتداب بشكل كبير فبعد أن كان الجمل يباع بين 25و20 جنيه، أصبح في عهد الانتداب لا يساوي أكثر من ثلاث إلى سبع جنيهات، وذلك لأن الحاجة إلى الجمال في فلسطين وفي مصر خفت بانتشار وسائل النقل الحديثة. وأما الأغنام فقد عانت أيضاً من هبوط الأسعار وذلك بسبب مزاحمة الأغنام النجدية والتركية والسورية من جهة ومن مزاحمة الصوف المستورد من الخارج والأقمشة القطنية لصوف القضاء وغزلها من جهة أخرى، وإن هبوط الأسعار وعدم الرغبة في اقتناء الصوف البدوي كان يقضي في

([1]) أبو سمور، حسن، قصة مدينة بئر السبع، 47.

([2]) المرعشلي، أحمد، الموسوعة الفلسطينية، 475/1.

([3]) أبو سمور، حسن، قصة مدينة بئر السبع، 47.

([4]) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 272.

([5]) أبو سمور، حسن، قصة مدينة بئر السبع، 47.

نفس الوقت على صناعة امتهنها البدو ووصلوا بها إلى حد الاتقان، وهي صنع الغفر والمزواد والبسط والخرجة* [1].

كما هبطت أسعار الخيول فبعد أن كان الشخص لا يستطيع شراء الفرس الأصيل بأقل من مئتي جنيه أو أكثر، أصبح في عهد الانتداب البريطاني الفرس الأصيل لا يساوي أكثر من خمس جنيهات ولذلك لمزاحمة السيارات ووسائل النقل الأخرى، وقلة العلف بسبب سنوات المحل، وانعدام الغزو، وتضاؤل الميل لشراء الخيول العربية في البلاد المجاورة.

أما الملح فقد كان العربان في قضاء بئر السبع يتاجرون به قبل الانتداب البريطاني ولكن بعد أن خضعت فلسطين للانتداب منع استخراجه ونقله إلا بإذن خاص. كما منعت سلطة الانتداب السكان البدو من المتاجرة بالسلاح ومنعت اقتناءه إلا بإذن ومنعت تجارته إلا في أمكنة محدودة وحرم البدو بهذا المنع مورداً من موارد الرزق كانوا يردونه كلما سدت في أوجههم مسالك العيش الأخرى[2].

يبدو أن البدو كان يلجؤون إلى المتاجرة بالسلاح في سنوات الجفاف وذلك لسد حاجاتهم ولتوفير المال لشراء الحبوب وأعلاف حيواناتهم ولكن الانتداب منعهم من التجارة بالسلاح وبذلك قد يكون حرمهم من مصدر من مصادر رزقهم يلجؤون إليه وقت الحاجة.

كما أن الشعير لم تستمر عملية تصديره للخارج لعدة أسباب منها سنوات الجفاف، وهبوط الأسعار بسبب الحبوب المستوردة من الخارج التي أدت إلى انخفاض سعر الشعير إلى الحضيض[3]. ويبدو أن السلطات البريطانية عمدت إلى استيراد الشعير والحبوب الأخرى وذلك لضرب الاقتصاد الفلسطيني في تلك الفترة.

---

* الخرجة: ما يغطى به الشيء: ضيف شوقي وآخرون، المعجم الوسيط، 680.

(1) عارف العارف، القضاء بين البدو، 223–226.

(2) نفس المصدر، 227.

(3) الدباغ، مصطفى، موسوعة بلادنا فلسطين، 336/2.

الصناعة:

لا يمكن فصل التجارة عن الصناعة خصوصاً الصناعات الخفيفة التي كان يحتاجها البدو في حياتهم اليومية[1]. وبما أن مدينة بئر السبع كانت مركزاً تجارياً، فقد كانت هنالك حاجة ماسة لبعض الصناعات، وخاصة الصناعات الخفيفة التي تلزم البدو[2]، ولقد كانت هذه الصناعات تحويلية تعتمد على تصنيع الانتاج الزراعي والحيواني[3].

ومن أهم الصناعات التي كانت قائمة خلال فترة الانتداب البريطاني هي صناعات طحن الحبوب، وصناعة السمن والنسيج والعباءات والسيوف والأصواف، ودباغة الجلود، واعمال الحدادة والنجارة، وبعض الأدوات الزراعية، وما يحتاج إليه البدو من أدوات منزلية بسيطة[4].

وقد كان للمرأة البدوية دور كبير في هذه الصناعات، فقد كانت تغزل الصوف، وتحيك بيت الشعر، والأغطية والفرش، والخرج* والمخالي للدواب. وذلك كله من شعر المعز أو صوف الضأن أو وبر الأبل لكن هذه الصناعات كانت بدائية لا تعود بالنفع الكبير ولا الربح الوفير للبدو[5].

لذلك أنشئت الورشات الصغيرة، وأقيمت الدكاكين في مدينة بئر السبع لعرض هذه البضائع ولسد حاجات السكان والزوار القادمين إلى المدينة[6].

الرعي:

تعتبر الثروة الحيوانية من أهم القطاعات الاقتصادية في حياة الإنسان البدوي، حيث اعتمد على تربية الماشية منذ قرون عديدة في مأكله وملبسه وتنقلاته. فتربية الماشية وحجم القطيع

---

(1) عوض، خالد، بئر السبع سجل مصور من أواخر العهد العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني، 227.

(2) أبو سمور، حسن، قصة مدينة بئر السبع، 47.

(3) العامري، عنان، التطور الزراعي والصناعي الفلسطيني 1900–1970، 101.

(4) أبو سمور، حسن، قصة مدينة بئر السبع، 47.

* خروجية، وخرج: وعاء من شعر أو صوف ذو عدلين يوضع على ظهر الدابة، فريحة، أنيس، معجم الألفاظ العامية، 43.

(5) عارف، العارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، 272.

(6) عوض، خالد، بئر السبع سجل مصور من أواخر العهد العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني، 227.

اعتبر مقياساً لثروته ومركزه الاجتماعي بين قومه، وهي أيضاً أحد الفروع الاقتصادية المميزة التي تمنحه استقراراً مثلها مثل الأعمال الزراعية[1].

كانت تربية الماشية هي العمل الرئيس للبدو في قضاء السبع[2]. لذلك اعتمدوا في اقتصاديهم إلى حد كبير على تربية الحيوانات في بيئة شحيحة المراعي، حيث يكون التغلب على قلة المراعي بالتنقل[3]. بحثاً عن المراعي الطبيعية المتوافرة في القضاء علاوة على المزروعات العلفية[4].

ولكن بعد إنشاء مدينة بئر السبع بدأت هذه المهنة تفقد دورها ويعود ذلك إلى اهتمام بعض البدو بالزراعة وبعضهم الآخر بالتجارة والصناعات الخفيفة وإلى قلة الأمطار وسنوات الجفاف التي تؤدي إلى حالة التذبذب في عدد المواشي المنتشرة في القضاء[5].

حيث تناقصت أعداد الجمال في الفترة الممتدة من 1921 –1927م من 10 آلاف إلى 9.896 رأساً، لكن هذا العدد تضاعف بعد خمس سنوات ليصل عام 1932م إلى 16.979 رأساً[6].

كما حدث نفس التغير في أعداد الماعز والأغنام، حيث تناقصت الماعز من 35.203 رأساً عام 1921م إلى 34.285 رأساً عام 1928م، لكنها ما لبث أن زادت مرة أخرى عام 1932م لتصل إلى 43.588 رأساً، أما الأغنام فقد كانت عام 1921م حوالي 53.058 رأساً. تراجع إلى 50.400 رأساً عام 1928م، ثم تزايد إلى 61.676 رأساً عام 1932م[7].

ويرجع هذا التذبذب في عدد المواشي إلى قلة الأعشاب في القضاء بسبب قلة الأمطار وسنوات الجفاف التي كانت يمر بها قضاء بئر السبع.

([1]) فلاح غازي، الفلسطينيون المنسيون عرب النقب 1906–1986، 150.

([2]) أبو سمور، حسن، قصة مدينة بئر السبع، 54.

([3]) عيد، صبحي يوسف، جغرافية الاستيطان الصهيوني في منطقة النجب، 66

([4]) المرعشلي، أحمد، الموسوعة الفلسطينية، 476/1.

([5]) عوض، خالد، بئر السبع سجل مصور من أواخر العهد العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني، 226.

([6]) عارف العارف، القضاء بين البدو، 224.

([7]) نفس المصدر، 225.

والجدول التالي يبين أعداد بعض الحيوانات في بئر السبع في عدد من السنوات المختلفة[1]

السنة	عدد الجمال	عدد الماعز	عدد الأغنام	المجموع
1921	10000	35203	53058	88261
1928	13411	34285	50400	98096
1932	16979	43588	61676	105264

وفي عام 1937م صدر تقرير عن دائرة الزراعة والأحراج فكان عدد الماشية على النحو الآتي[2]:

الجمال	11476
الخيل	2484
البغال	7
الحمير	18902
البقر	11467
الغنم	42435
الماعز	22048
المجموع	103400

وتبين من هذا الجدول تناقص أعداد الأغنام والماعز عن عام 1932م، كما هو في الجدول السابق وذلك يعود إلى قلة الأمطار والأعشاب بسبب سنوات الجفاف التي كان يمر بها قضاء بئر السبع.

وفي آذار عام 1943م قدر عدد هذه الحيوانات بما يلي[3]:

الخيل	2611
البغال	84
الحمير	24080
البقر	9946
الغنم	26079
الماعز	34659
الجمال	13784
المجموع	111243

(1) نفس المصدر، 224–225.

(2) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 338/2.

(3) الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، 339/2.

يتضح من الجدولين السابقين أن الماعز والأغنام هي أهم المواشي التي كان يعتمد عليها البدو في قضاء بئر السبع في معيشتهم، لأنها تستطيع تحمل مشاق التنقل والبحث عن المراعي الشحيحة في مساحات شاسعة من الأرض مكتفية بالأعشاب والحشائش في هذه البيئة شبه الصحراوية. وفي عام 1947م كان يقدر عدد الماشية في القضاء نحو 75.000 رأساً [1].

يبدو هنا أن مؤلف كتاب المجتمع البدوي في النقب واقتصادياته يذكر فقط الجمال والماعز والأغنام والبقر في كتابه ولم يذكر باقي الحيوانات التي يعتمد عليها البدو في حياتهم اليومية ويستفيدون من لحومها وألبانها، لأن من غير المعقول أن تكون عام 1943م، 111.232 رأساً من الماشية وتصبح عام 1947م 75.000 رأساً.

(1) ديفيس، أوري، المجتمع البدوي في النقب واقتصادياته، 17.

الخاتمة:

خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- قضاء بئر السبع هو قسم إداري في فلسطين يعود للفترة العثمانية واستمر فترة الانتداب البريطاني مركزه مدينة بئر السبع في الجزء الجنوبي من فلسطين تقدر مساحته بنصف مساحة فلسطين وقد أطلق عليه إدارياً اسم قضاء بئر السبع.
- تكثر الأماكن الأثرية والمواقع القديمة في قضاء بئر السبع فبعضها كنعاني والآخر نبطي وهناك البيزنطي والروماني، وهذه المواقع ملك للقبائل البدوية وبالرغم من كثرة عددها إلا أن البدو لا يلقون لها أي اهتمام أو بال ولا ينظرون إلى قيمتها الأثرية.
- منذ أن أنشئت مدينة بئر السبع عام 1900، أصبحت موطناً لبعض أهالي غزة والخليل والمجدل، الذين قدموا من هذه المدن، إما للتجارة أو العمل في مدارس الحكومة والتعليم. ولم يسكنها بشكل منظم عدد كبير من البدو مع أنها كانت المركز الإداري والتجاري للقضاء.
- لم تكن الغاية من إنشاء مدينة بئر السبع توطين البدو وتحسين نمط معيشتهم بل كان هنالك أهداف أخرى لصالح الدولة العثمانية وأهمها الحصول على الضرائب وجعل هذه المدينة قاعدة للجيوش العثمانية بسبب قربها من مصر التي كانت خاضعة للاحتلال الإنجليزي في تلك الفترة.
- كانت بئر السبع قاعد لانطلاق الجيوش العثمانية إلى قناة السويس من أجل اشغال الجيش الإنجليزي ومحاولة تخريب القناة وحرمان الإنجليز من استخدامها.
- تغلب الإنجليز على الأتراك في معركة بئر السبع نظراً إلى تفوقهم العددي وحيازتهم على أجود أنواع الأسلحة والمعدات وتنظيم التموين على نحو أفضل من الأتراك وبفضل نظام المواصلات.
- إن مدينة بئر السبع هي أول مدينة يحتلها البريطانيون في فلسطين لأنها تعتبر مفتاح المدن الفلسطينية في الجنوب كما أن لها أهمية عسكرية كبرى، حيث أن احتلالها يحطم معنويات الجيش المقابل.

- إن السيطرة البريطانية على فلسطين هي عبارة عن احتلال بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فشعب فلسطين لم يطلب منها الحضور بل هي جاءت من أجل المصالح الاستعمارية، وأن الذي اتفق مع بريطانيا هو الشريف حسين الذي أراد استقلال العرب عن الحكم التركي واستبداله بملكية له ولأسرته.
- واجه الانجليز صعوبات كثيرة في السيطرة على قضاء بئر السبع وفي إخضاع القبائل لسيطرتهم، لذلك انتهج الانجليز سياسة مغايرة تجاه بدو بئر السبع عمن سبقهم من الأتراك. فلجأ الانجليز إلى سياسة جديدة ترمي إلى حكمهم بطريقة غير مباشرة، وذلك عبر تقوية مركز مشايخ القبائل ودمج البدو في أنظمة الدولة المختلفة مثل البلديات والعمل في الشرطة الفلسطينية.
- انتشرت قبائل قضاء بئر السبع في جميع أرجاء القضاء المختلفة من الفالوجة في الشمال وحتى خليج العقبة في الجنوب، حيث كان هنالك تباين في الكثافة السكانية للمناطق المختلفة، أما المناطق الشمالية وأطراف مدينة بئر السبع فامتازت بكثافة سكانية أعلى نسبياً من الأطراف الجبلية والوسطى الجنوبية.
- من الخطأ اعتبار بدو قضاء بئر السبع خلال فترة الانتداب البريطاني قبائل عربية منطوية على نفسها لا تشارك غيرها وأن تعتبر متنقلة. فقد انضم عدد كبير من مشايخ بئر السبع إلى الحركة الوطنية الفلسطينية في فترة الانتداب البريطاني، كما عارضوا الحركة الصهيونية في ابتياعها للأراضي العربية في قضاء بئر السبع.
- بعد الاحتلال الإسرائيلي لقضاء بئر السبع قام اليهود بتشريد وترحيل عدد كبير من سكان القضاء بمن فيهم سكان مدينة بئر لسبع، وقد استمرت عمليات الترحيل بعد انتهاء الحرب بعدة سنين، فقد هجرت مجموعات من البدو إلى الأردن ومصر وغزة والضفة الغربية، أما البقية الباقية من البدو والتي بقيت في القضاء فقد جمعت في مناطق صغيرة ومصورة سميت بالمناطق المغلقة.
- على الرغم من طبيعة قضاء بئر السبع الصحراوية وشبه الصحراوية فإن حياة البدو الاقتصادية لم تقتصر على الاقتصاد الرعوي فقط، فقد كان حوالي 90% من سكان القضاء يعملون في الزراعة لذلك كانت حياة البدو في هذه المنطقة مزيجاً من الحياة القروية الزراعية والحياة البدوية، وعليه فقد كانت حياة قريبة إلى الاستقرار الثابت.

- على الرغم من الاجحاف الذي تعرضت له الحياة العامة لسكان فلسطين في عهد الانتداب البريطاني، إلا أن سكان القضاء أصروا على ممارسة عملهم والقيام بواجباتهم تجاه العناية بالأرض الزراعية والاحتفاظ بها على الرغم من عدم وجود سياسات زراعية تعتمد على التقدم العلمي والتطور التكنولوجي واستخدام الآلات زراعية جديدة. فإن البدو حافظوا طول هذه الفترة على أكبر قدر ممكن من مستوى الانتاج الزراعي.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: الوثائق غير المنشورة والمنشورة

1. أرشيف مؤسسة احياء التراث – ابو ديس
   - مؤسسة احياء التراث ملف رقم 3/1925/4–1/11/95
   - مؤسسة احياء التراث ملف رقم 0/1930/2–5/2/75
   - مؤسسة احياء التراث ملف رقم 13/1938/5–34/2/75
   - مؤسسة احياء التراث ملف رقم 3/1940/4–6/11/95
2. محافظة، محمد، وثائق وتقارير بريطانية عن شرق الأردن وفلسطين، ج1، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، ط1، اربد ، 2000م.
3. الاحصاء الرسمي البريطاني لعام 1922م.
4. الإحصاء الرسمي البريطاني لعام 1932م.

ثانيا: المذكرات الشخصية

1. التل، عبد الله، **كارثة فلسطين**، ج1، دار القلم، (د.ط)، القاهرة (د.ت)
2. زعيتر، أكرم، **الحركة الوطنية الفلسطينية 1935–1939م**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، بيروت، 1980
3. السكاكيني، خليل، **يوميات خليل السكاكيني**، ج2، تحرير: اكرم مسلم، مؤسسة فرد، وزارة الثقافة الفلسطينية، رام الله، 2004
4. فؤاد، علي، **كيف غزونا مصر**، ترجمة نجيب الأرمنازي، منشورات دار الكتاب الجديد، (د.ط) (د.م)، 1962م

ثالثا: القوانين

1. **الدستور العثماني**، ج1، ترجمة نوفل افتدى نعمة الله نوفل، المطبعة الأدبية، بيروت، 1985م.

رابعا: المراجع باللغة العربية

القرآن الكريم

1. الآغا، نبيل، **مدائن فلسطين دراسات ومشاهدات**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1993م.
2. أبو جابر، إبراهيم، **جرح النكبة**، ج2، مركز الاعلام العربي، ط1، الجيزة، 2007
3. ابو سمور، حسن، **قصة مدينة بئر السبع**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (د.م)، (د.ت)
4. أبو مايلة، يوسف، **القرى المدمرة في فلسطين حتى عام 1952** (د.ط) د.م، 1998م.
5. أبو الهدى، سامح، **جغرافية فلسطين دراسة طبيعة اقتصادية سياسية**، دار الايام للنشر والتوزيع، (د.ط)، عمان، 2013.
6. الأحمد، نجيب، **فلسطيني تأريخا ونضالا**، دار الجيل للنشر، ط1، عمان، 1985.
7. ابن إياس، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج5، الهيئة المصرية العامة للكتاب (د.ط)، القاهرة، 1984م.
8. انطونيوس، جورج، **يقظة العرب**، دار العلم للملايين، د.ط، بيروت، 1966
9. أينا لجيك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار**، ترجمة محمد الأرناؤوط، دار الكتب الوطنية، ط1، بنغازي، 2002
10. أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية**، ج1، ترجمة عدنان محمود سلمان، منشورات فيصل للتمويل، ط1، إستانبول، 1988.
11. باقر، طه، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، تاريخ الفرات**، ط1، (د.د)، بغداد، 1955م.
12. البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان**، دار النشر للجامعيين، (د.ط) د.م، 1957م.
13. البرغوثي، صالح، **تاريخ فلسطين**، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ط) القاهرة 2006م.
14. بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الاسلامية**، ترجمة أمين فارس، دار العلم للملايين، ط6، بيروت، 1974م.

15. بويصير، صالح، **جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن**، ط1، وزارة الثقافة الفلسطينية، 2001م.
16. توما، أميل، **فلسطين في العهد العثماني**، دار الفجر للطباعة والنشر، ط1، القدس، 1983.
17. تماري، سليم، عام الجراد، **الحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (د.ط)، (د.م)، (د.ت).
18. جبارة، تيسير، **تاريخ فلسطين**، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، رام الله، 1998م.
19. الجبالي، نبيل، **جغرافية الوطن العربي**، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، ط1، (د.م)، 2001م.
20. جريس، صبري، **تاريخ الصهيونية 1918–1939**، ج1، ج2، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، قبرص، 1986.
21. حاساسيان، مناويل، **الصراع السياسي داخل الحركة الوطنية الفلسطينية ما بين 1919–1939**، منشورات البيادر، (د.ط)، القدس، 1987
22. حتى، فيليب، **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**، ج2، ترجمة: كمال اليازجي، دار الثقافة، (د.ط)، بيروت، 1909م.
23. الحزماوي، محمد، **ملكية الأراضي في فلسطين 1918–1948**، مؤسسة الأسوار، ط1، عكا، 1998م.
24. حسن إبراهيم، **البحر الأحمر في الحرب العالمية الاولى**، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط1 (د.م)، 1981.
25. حسون، علي، **تاريخ الدولة العثمانية**، المكتب الاسلامي، ط7، بيروت، 2000.
26. الحسيني، محمد، **التطور الاجتماعي والاقتصاد في فلسطين العربية**، مكتبة الطاهر اخوان، يافا، د.م.
27. الحوت، بيان، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917–1948**، دار الهدى للنشر والتوزيع، ط2، بيروت، 1986

28. الخالدي، وليد، **كي لا ننسى قرى فلسطين التي دمرتها اسرائيل سنة 1948 اسماءها وشهدائها**، ترجمة حسني زينة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، بيروت، 1997.
29. خلة، كامل، **فلسطين والانتداب البريطاني 1922–1939**، ط1، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، طرابلس، 1974
30. الدمشقي، محمد، **اعلام الوري**، تحقيق: محمد بن دهمان، دار الفكر، ط2، دمشق، 1984
31. الديراوي، عمر، **الحرب العالمية الأولى**، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1979م.
32. رافق، عبد الكريم، **العرب والعثمانيون 1516–1916**، مكتبة رياض السروجي، ط2، عكا، 1978.
33. رنسيمان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، ترجمة: الباز العريني، ج3، (د.د)، ط1، (د.م)، 1993
34. سعد، أحمد، **التطور الاقتصادي في فلسطين**، (د.ط)، (د.م)، 1985.
35. السفري، عيسى، **فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية**، ط1، بيروت، د.ت.
36. شبيب، سميح، **الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للحركة السياسية في فلسطين**، مؤسسة الأسوار، ط1، رام الله، 1999.،
37. شقير، نعوم، **تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، مصر، 2009.
38. الشرع، صادق، حروبنا مع إسرائيل 1947–1973، دار الشروق، ط1، عمان، 1973.
39. الشريف، كامل، الاخوان المسلمون في حرب فلسطين، الزهراء للإعلام العربي، ط1، القاهرة، 1987.
40. شوفاني، الياس، **الموجز في تاريخ فلسطين السياسي**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط2، بيروت، 1998
41. صايغ، أنيس، **بلدانية فلسطين المحتلة**، مركز الابحاث– منظمة التحرير الفلسطينية، د.ط، بيروت، 1968.

42. صبري، بهجت، **فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها 1914–1920**، د.ط، جمعية الدراسات العربية– القدس، 1982
43. الطبري، محمد، **تاريخ الأمم والملوك**، ج1، دار صادر (د.ط)، بيروت (د.ت)
44. طوطح، خليل، **جغرافية فلسطين**، مطبعة بيت المقدس (د.ط) القدس، 1923
45. العارف، عارف، **النكبة**، ج3، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2012
46. ـــــــــ، **تاريخ بئر السبع وقبائلها**، مطبعة بيت المقدس، (د.ط)، القدس، 1934.
47. ـــــــــ، **تاريخ غزة**، مطبعة العمرانية للاوفست، (د.ط)، الجيزة، (د.ت).
48. ـــــــــ، **القضاء بين البدو**، مطبعة بيت المقدس، (د.ط) ، القدس، 1933
49. العامري، **عنان، التطور الزراعي والصناعي الفلسطيني 1900–1970**، منشورات دار ملاح، د.ط، القدس، 1981
50. عبوش، واصف، **فلسطين قبل الضياع**، رياض الريس للكتب والنشر (د.ت)، لندن، 1985.
51. عراف، شكري، **المواقع الجغرافية في فلسطين**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، بيروت، 2004م.
52. عرفة، عبد الرحمن، **الاستيطان التطبيعي العلمي للصهيونية**، وكالة ابو عرفة للصحافة والنشر، القدس، 1981
53. عكاشة، أحمد، **قراءات في تاريخ فلسطين الاقتصادي 1920–1948**، ط1، دار الكاتب للطباعة والنشر، القدس، 1993
54. عكاشة، علي، **اليونان والرومان**، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط1، اربد، 1991م.
55. العلمي، أحمد، **الاجتياح البريطاني لفلسطين 1917–1928**، مؤسسة الاسوار، المطبعة العربية الحديثة، عكا، 1998
56. علوش، ناجي، **المقاومة العربية في فلسطين 1917–1948**، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط2، 1970.
57. عمر، عبد العزيز، **تاريخ المشرق العربي 1516–1922**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

58. عمران، محمد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 2006.
59. عوض، خالد، **بئر السبع سجل مصور من أواخر العهد العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني**، جمعية السباط للحفاظ على التراث، ط1، الناطرة 2014م.
60. غارودي، روجيه، **فلسطين أرض الرسالات السماوية**، ترجمة قصي اتاسي، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، (د.ط)، دمشق 1991.
61. فلاح، غازي، **الفلسطينيون المنسيون عرب النقب 1906–1986**، مركز احياء التراث العربي د.ط، الطيبة، 1989
62. القطشان، عبد الله، **التعليم العربي الحكومي ابان الحكم التركي والانتداب البريطاني 1516–1948**، منشورات دار الكرمل، ط1، عمان، 1987
63. كتن، هنزي، **قضية فلسطين**، ترجمة رشدي الاشهب، مطبوعات وزارة الثقافة الفلسطينية، ط1، (د.م) 1919م.
64. لامنسى، هنري، **تسريح الابصار فيما يحتوي لبنان من آثار**، ج1، دار نظير عبود، ط1، بيروت/ 1996
65. لوتسكي، **تاريخ الاقطار العربية الحديث**، ترجمة عفيفة البستاني، دار الفارابي، ط7، بيروت 1980م.
66. المبيض، سليم، **النقود العربية الفلسطينية وسكتها المدنية والأجنبية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، القاهرة، 1989م.
67. محيسن، زيدون، **الحضارة النبطية**، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، د.م، 2010م.
68. مسودي، تيسير، **سكان محافظة الخليل**، مركز الابحان رابطة الجامعيين (د.ط)، (د.م) 1987.
69. مناع، عادل، **تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700–1918**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، بيروت، 1999.
70. مورس، بني، طرد الفلسطينيون وولادة مشكلة اللاجئين، دار الجليل، (د.ط)، عمان، 1992.

71. النحال، محمد، **فلسطين أرض وتاريخ**، دار الجيل للنشر، ط1، عمان، 1984
72. هداوي، سامي، **الحصاد المر فلسطين بين عامي 1914 و1979**، ترجمة فخري حسين يغمور، مطبعة التوفيق، ط1، عمان، 1982م.
73. ياسين، نمر ، **تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، ط1، دار الفكر- الأردن 210م-1430م
74. يحيى، جلال، **المجمل في تاريخ مصر الحدث**، المكتب الجامعي الحديث، د.ط، الاسكندرية (د.ت).

خامسا: الرسائل الجامعية

1) البلوشي، علي، **جيومورفلوجية حافة رأس النقب**، رسالة ماجستير، الجامعة الاردنية، عمان، 1997.
2) صالح، ياسر، **التعليم في مدينة الخليل في ظل الانتداب البريطاني (1920-1948)**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 1999م.
3) عيد، صبحي يوسف، **جغرافية الاستيطان الصهيوني في منطقة**، النجب، رسالة ماجستير، جامعة الدول العربية- القاهرة، 1974.

سادسا: الدوريات

- أبو النصر، عمر، الهجوم على بئر السبع وغزة، مجلة الحرب العظمى، الجزء 32،33
- جرار، مروان، قراءات تحليلية في الخطاب السياسي الفلسطيني 1920-1935م، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، العدد 2، 2012م.
- سلمان أبو ستة، النصف المنسي من فلسطين، مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد 73، 2008م.
- ديفيس، أوري، المجتمع البدوي في النقب واقتصادياته، مجلة صامد، العدد 2، عمان، 1985م.

سابعا: الصحف

1. جريدة الحياة الصادرة بتاريخ 27 ايلول، 1995، العدد 11906
2. جريدة الوقائع الفلسطينية الصادرة بتاريخ 16 ايار، 1918، العدد 56
3. جريدة الوقائع الفلسطينية الصادرة بتاريخ 1929، العدد 1375
4. جريدة الوقائع الفلسطينية الصادرة بتاريخ 24 تشرين ثاني1944، العدد1375 ملحق رقم (2).
5. صحيفة البشير الصادرة بتاريخ 24 ايلول، 1938 العدد 5612
6. صحيفة البشير الصادرة بتاريخ 10 ايلول 1، العدد 453
7. صحيفة البشير الصادرة بتاريخ 5تشرين ثاني 1901، العدد 517
8. صحيفة البشير الصادرة بتاريخ 2 نيسان، 1901، العدد 1474
9. صحيفة الدفاع الصادرة بتاريخ 22 ايلول، 1938، العدد 1223
10. صحيفة الصراط المستقيم الصادرة بتاريخ 4 كانون ثاني 1934، العدد 816
11. صحيفة الصراط المستقيم الصادرة بتاريخ 21 كانون اول 1934، العدد 813
12. صحيفة المنادى الصادرة بتاريخ 2 حزيران 1912، العدد 68
13. صحيفة فلسطين الصادرة بتاريخ 16 تشرين ثاني، 1930، 208–1588
14. صحيفة فلسطين الصادرة بتاريخ 19 حزيران 1931، العدد
15. صحيفة فلسطين الصادرة بتاريخ 2 كانون ثاني، 1932 العدد 234– 2192

ثامنا: الموسوعات

1. ابو حجر، آمنة، **موسوعة المدن والقرى الفلسطينية**، ج1، ج2، دار أسامة للنشر والتوزيع، (د.ط)، عمان، (د.ت)
2. الدباغ، مصطفى، **بلادنا فلسطين**، ج1، منشورات دار الطليعة، ط1، بيروت، 1966.
3. خمار، قسطنطين، **موسوعة فلسطين الجغرافية**، مطبعة المتوسط، (د.ط)، لبنان، 1969.
4. المرعشلي، أحمد وآخرون، **الموسوعة الفلسطينية**، ج1، ج4، هيئة الموسوعة الفلسطينية، ط1، دمشق، 1984.

تاسعا: المعاجم

1. الاندلسي، عبد الله، **معجم ما استعجم**، ج3، عالم الكتب، ط3، بيروت، 1983
2. البغدادي، شهاب الدين، **معجم البلدان**، ج3، دار صادر، (د.ط) بيروت، 1957م.
3. شراب، حسن، **معجم بلدان فلسطين**، الأهلية للنشر والتوزيع، ط2، عمان، 1996
4. ضيف، شوقي وآخرون، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، ط5، مصر الجديدة، 2011م.
5. فريحة، انيس، **معجم الألفاظ العامية**، مكتبة لبنان، (د.ط)، بيروت، 1990م.

عاشرا: المصادر الأجنبية

1. Abu-Manneh, Butrus, **Ottoman Reform and Muslim Regeneration,** I.B.Tauris Publisher. London, 2005
2. Abu, Raba, Aref .**Bedouin Century**, Berghanhn Books, New York, 2001.
3. Celik, Zeynep, **Empire, Architecture, and the city French Ottoman Encounter 1830-1914**, Publisher University of Washington Press, 2008.
4. Biger, Gidenon, **Ottoman Town Planning in Late 19th and Early 20th Century Palestine**, international Geography symposium, Tel Aviv University, 2013.

الملاحق

ملحق (1)

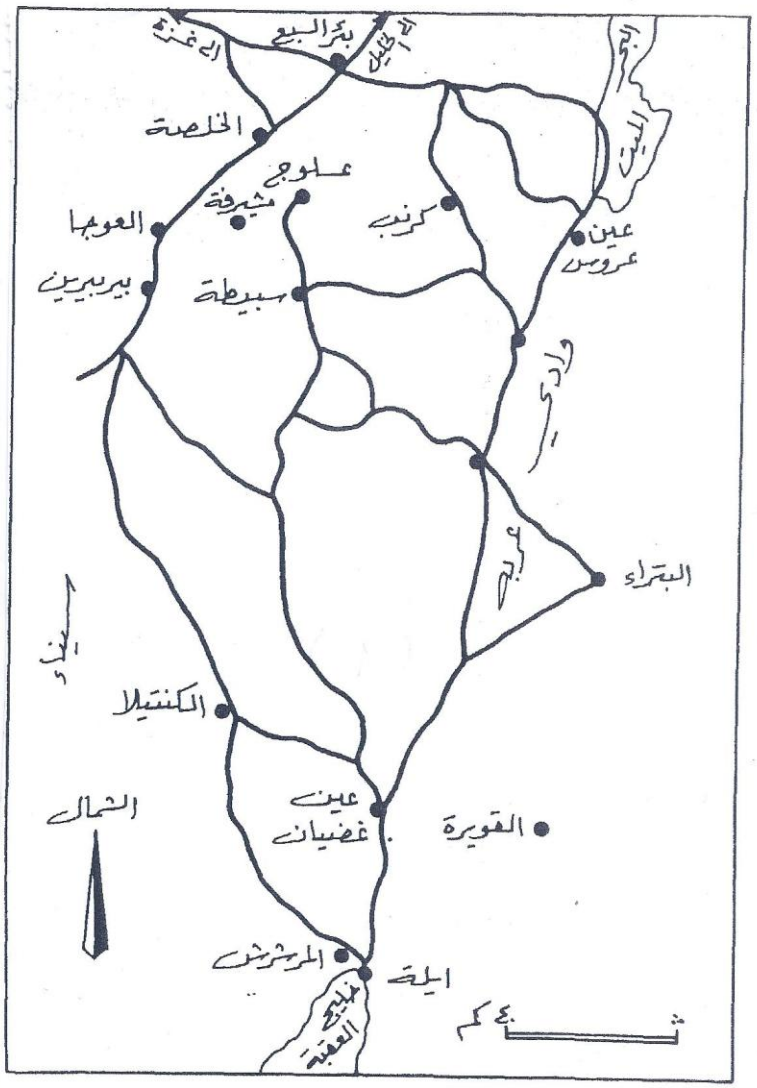

ـ الطرق التجارية القديمة في قضاء بئر السبع .

ملحق (2)

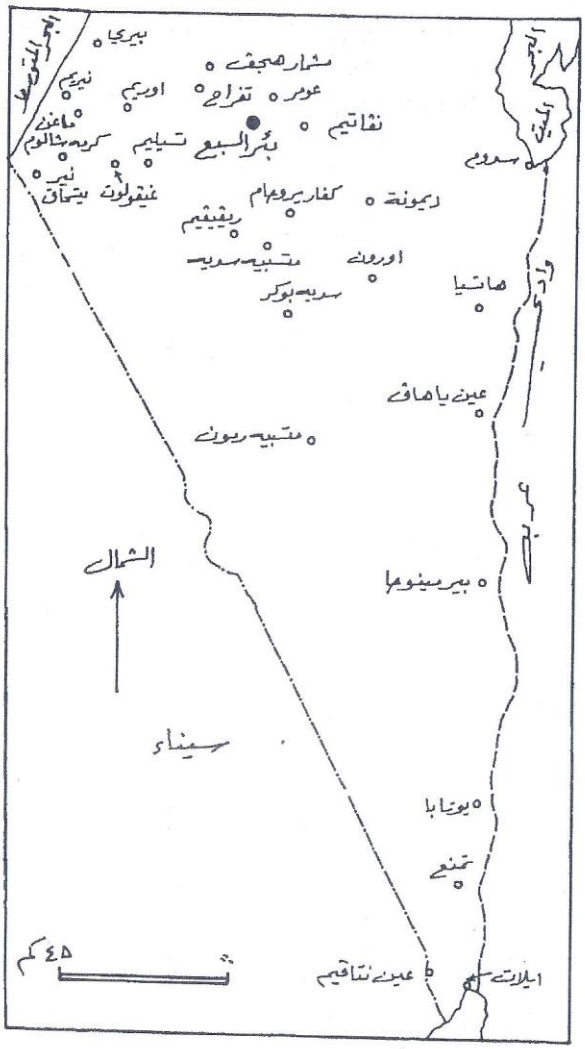

١ ـ بعض المستعمرات الاسرائيلية في قضاء بئر السبع

ملحق (3)

- بعض القرى والقبائل العربية في منطقة بئر السبع

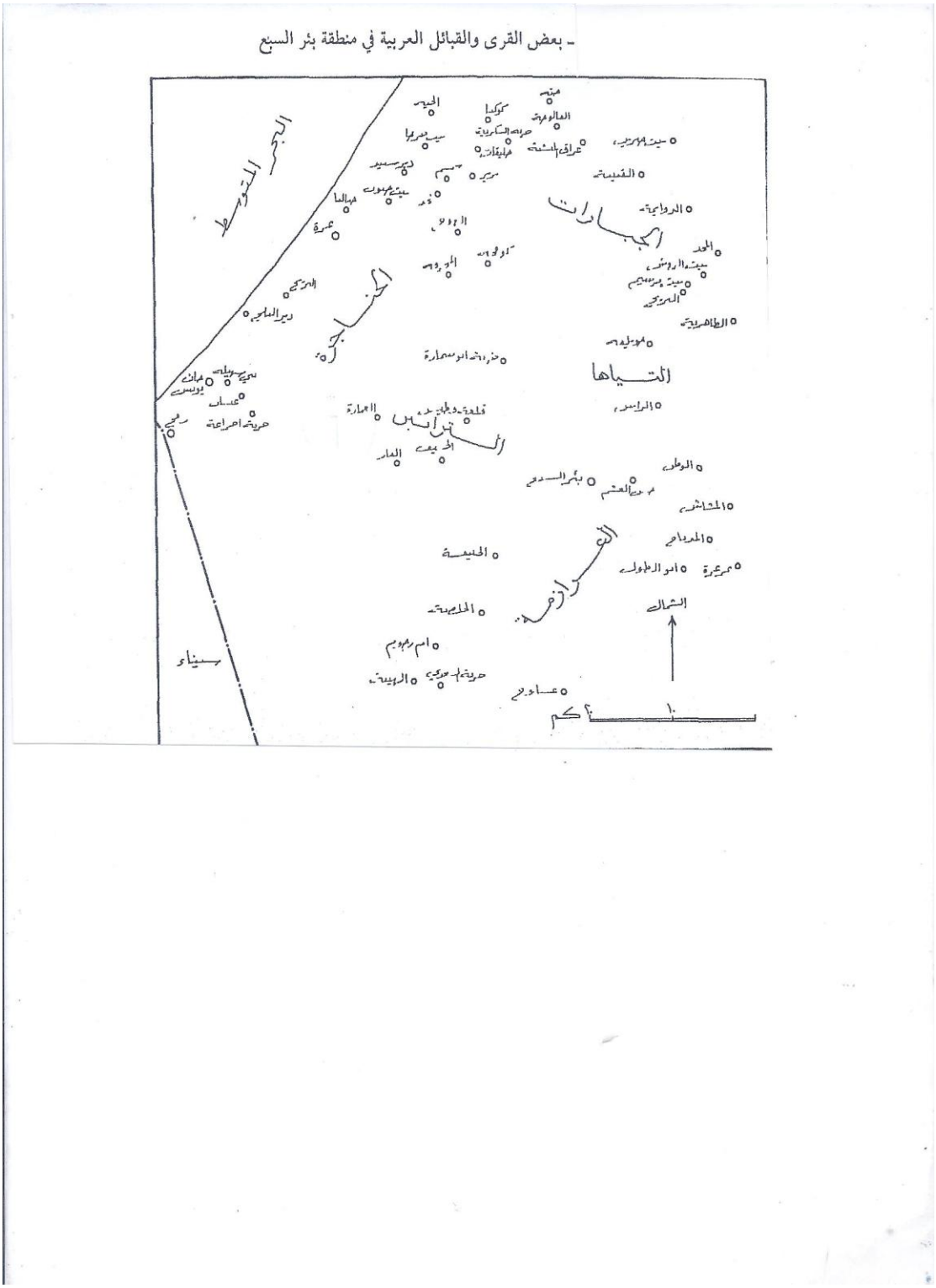

Abstract

This study conducted research on Bi'r Al-saba' district since the British occupation until the Israeli occupation, that is from the year 1918 until 1948 - the year that the Israeli occupation was implemented in Bi'r Al-saba' district. This period is considered one of the most important periods that the district endured throughout history.

The study aims to provide an overview of Bi'r Al-saba' district during the British mandate.

The study at first discusses rebuilding Bi'r Al-saba' in 1900 during the Ottoman Empire in the time of Sultan Abdulhamid II, in addition to the strategic reasoning behind the Ottoman's construction of the city.

It then goes on to outline the situation of the district during the British occupation which was imposed on the city in 1917, and clarified the British role in the methods used to take control over the district, in addition to the role of the local people in the district in the Palestinian national movement against the British occupation.

The discussion then moves on to the people of Bi'r Al-saba' during the period of the British mandate. The paper outlines the key demographic changes and the socio-economic statistics that the mandate authority conducted for the people of the district. Health and education system imposed at the time of the British are also discussed.

The study also mentioned Bi'r Al-saba' incidents in 1948 and the role of its people to defend it along with Arab volunteers against the Jewish gangs, in where at the end it was lost for the favor of the Jewish gangs.

The study ended with the most important economic activities that the residents of the district undertook.